دماء على ستار الكعبة

« مسرحية شعرية »

فاروق جويدة

دماء على ستار الكعبة

« مسرحية شعرية »

مكتبة غريب

شخصيات المسرحية

- الحجاج
- سعاد
- سلام
- علاء الدين
- رفيق الأنس
- حسب الله كامل
- سليم عبد الله
- أمين المصرى
- متولى كامل متولى
- سعيد
- الهادى
- كريم
- صفاء الملك
- عبد الله
- ضابط الشرطة
- عساكر الشرطة
- مجموعات بشرية
- كورس ومجموعات غنائية
- مغنية

القســم الأول

افتتاحــــية

« جموعُ منَ الناس تَدورُ على المسرح كأنهمْ فى حَالَة طوافٍ حوْل الكعبةِ الشَريفةِ وتنطلق أصْواتُهم مِنْ بَعيدْ » .

غناء وكورال : لبَّيك اللَّهمّ لبَيكْ . . لبّيكَ لا شَرِيكَ لَكَ لبَّيك
إنَّ الحمدَ . . والنعمةَ لَكَ والمُلْكْ . .
لاَ شَرِيكَ لَكْ

« يختلطُ صوتُ التلبيةِ مَعَ صُراخِ النَّاسِ وإضَاءَةٍ متقطعةٍ عَلَى المَسْرح . . ويتَصاعَدُ الصًّراخُ ويَمْتَزِجُ مَعَ صَوْتِ التَّلْبيةِ » .

« يَدْخُلُ الشَّيخ سلاَّم . رجلُ عجوزٌ يُمْسِكُ مِسْبحةً وهُوَ يَنْدفِعُ وَسَطَ النَاسِ ويصِيحُ . »

سلام : يا أهلَ مكةَ اغْلقُوا الأبوابْ

هذَا عدوُّ اللهِ يَكْتَسِحُ الرّبُوعَ الطّاهرهْ

هَذَا عدوٌّ اللهِ يَعْبَثُ بالمحارِمِ عِنْدَ بيت اللهْ .

صوت : ماذَا هُناكْ ؟

هَلْ جَاَء كِسْرَى ؟ أوْ تُرَى قَدْ جَاءَ عامُ الْفِيلْ ؟

صوت : قَدْ جَاءَ عَامُ الفِيلْ . .

أيَّامُنَا ، واللّهِ بَعْدَ مُحَمَّدٍ صارَتْ كَعَامِ الْفِيلْ .

صوت : هَذَا هِرَقْلُ جَاءَ يَغْتَصِبُ الرّبُوعَ الطاهِره

صوت : اهْرَبْ بِثِيَابِكَ يا مَجْنُونْ . اهْرَبْ بثيابِكَ يا أحْمَقْ .

صوت : أتيتُ لِكَىْ أُصَلّ رَكْعَتَيْنِ عَلَى رُبَى الحَرَمِ الشريفْ .

وطُفتُ حَوْلَ مَقَامِ ابراهيمَ أَدْعُو اللّهَ أَنْ يُشْفِىَ أبِى . . الرّجلَ المرِيضْ . .

صوت : مَاذَا حَدَثْ . . مَاذَا هُنَاكْ ؟

سلام : ياأهْلَ مكةَ أَغْلِقُوا الأبْوابْ .
هَذَا عَدُوٌّ اللّهِ يَكْتَسِحُ الربوعَ الطاهرهْ
هيًا اهْرَبُوا يَانَاسْ .
صوت : إنى دعوْتُ اللّهَ أَنْ يَهْدِىَ النُّفُوسَ إلَى الأمَانْ
وأَنْ يَقِينَا شرً هَذَا العامْ .
صوت : أَعْوامُنَا واللّهِ شرٌ كُلُّهَا .
والشرٌ فِينَا ، لَيْسَ فى أيامِنَا .
سلام : دعوْتُ اللّهَ أَنْ يَحْمِىَ دِمَاءَ المسلِمينَ مِنَ
الطغاهْ . .
صوت : دَعْنى لأهْرَبَ قَبْلَ أَنْ يَشْتَدَّ فِى اللَّيلِ الظلامْ . .
أُرِيدُ الآنَ أَنْ أَهْرَبْ .
صوت : سَأَمْضِى أَيْنَ أمضِى . . خبٌرونى . .
صوت : حِينَمَا يَشْتَدُّ فِينَا اليأْسُ تَحْمينَا بيُوتُ اللّهْ
والآنَ نَهْرَبُ مِنْ بُيوتِ اللّهْ . .
سلام : وأىُّ معَاقِلِ الدنْيَا سَيحْمِينَا إذَا ضَاقَتْ بُيوتُ اللّهْ ؟
صوت : هيًا لنَهْرُبَ يَا رِجَالْ . .
صوت : ماذَا هُناكَ أَتعرِفُونْ . . ؟

هَذَا قِتَالٌ فِي الشوارِعْ . .

الفاسِقُ العِرْبيدُ يَهْدِمُ كلَّ شَيْءٍ فى الحِرمْ

صوتُ الخُيُولِ يَصيحُ فى الحرمِ الشَّريفْ . .

سلام : عِشْنَا زمَاناً يُهْدَمُ الحَرَمُ الشريفُ أمَامَنَا . .

ياويْلِنا . . يَاويْلَنَا . .

أصوات : هَدَمُوا الحَرمْ . . هَدَمُوا الحرمْ . .

صوت : لِمَاذَا يَهْرَبُ الناسْ . . ؟

سلام : أَتَى الحَجَّاجْ . .

أصوات : الحَجاجْ . . أَتَى الحَجاجْ . .

صوت : تُرى مَنْ يكونْ . . ؟

سلام : هُوَ حاكِمٌ لَمْ يَخْشَ وَجْهَ اللّهِ يوماً فِي حَياتِهْ . .

رجُلٌ رهيبٌ لا يَخافُ اللّهْ . .

صوت : مازالَ يَقْصِفُ فِي الحرمْ . .

هذِى دِماءُ المسلمينَ تُرَاقُ فى أَرْضِ الحرم

سلام : وستائر الْحَرَمِ الشَّرِيفِ تَدُوسُها الأقْدَامْ

الكعبَةُ الغرَّاءُ تُهْدَمُ بيْنَنَا . . يا عَارَنَا . .

ياعَارَنَا . .

نهرُ الدماءِ يَسيلُ فَوْقَ ستَائِرِ البيتِ الْعَتِيقْ . .
الدَّمُ يُغْرِقُ وَجْهَ كَعْبَتِنَا الشَرِيفَهْ . .

« سلام يصيح والناسُ حوْلَهُ فى صُراخٍ » :

الكعبةُ تُهْدَمُ ياالَلْعارْ . .
الكعبةُ تُهْدَمُ ياالَلْعارْ . .
الكعبةُ تُهْدَمُ يا لَلْعارْ . .

« إظلام »

الفصـــل الأول

« الناسُ يَجْتَمِعُونَ فى ميدانٍ كبيرٍ بَيْنَها تَبْدُو أَنْقَاضُ وبقَايَا الْمعارِكِ والحِجارَةِ والأَسْلِحَةِ فى الشَّوارِعْ »

سلام : قَدْ جَاءَنَا الحَجّاجُ يَبْغى حُكْمَنَا . .

هذَا زمانُ القَهْرِ والبْطشِ الشّدِيدْ . .

سعيد : مَاذَا عَن الحجاجِ يَا سَلاّمْ ؟

سلام : رَجُلٌ غليظُ القلبِ لَيْسَ لَهُ مَثِيلْ . .

سَألُوه : كَمْ قَتْلاكَ ياحَجاجْ ؟

فَأجَابْ : إِنِّى قَدْ تَجَاوَزْتُ المِئَهْ . .

صوت : مِئَةُ قَتِيلْ . .

سلام : لَا . . بَلْ مِئَةُ أَلْفِ قَتِيلْ . .

سلام : سَأَلُوهْ : مَنْ أَحْبَبْتَ يَا حَجّاجْ . . ؟

فأجَابْ : ما أحْبَبْتُ شَيْئاً فِي حَيَاتِي غيْرَ لَوْن

الدّمْ . . يُسكِرُنِى كأقدَاحِ النبيذْ . .

سألوهْ مَنْ تَخْشَاهُ يَا حَجّاجْ . . ؟ فأجَابهُمْ :

الشَّعْبُ إنْ أعْطيْتَهُ عَقْلاً . .

ولَمْ تَقْطَعْ لِسَانَهْ . .

سعيد : أكْمِلْ لَنَا . . أكْمِلْ . .

سلام : رَفَضَ الرَّضاعَةَ ذَاتَ يَوْمٍ فِي المَسَاءْ

حَمَلتْهُ أمُّهْ . .

ذَهَبَتْ إلى العَرَّافِ تَسْأَلُهُ . . لِمَاذَا يَرْفضُ الطِفْلُ

الصَّغِيرُ غِذَاءَ أُمّهْ . .

فأجَابَهَا العرَّافْ :

هَيَّا اذْبحِى شَاةً صغِيرَةً . . واسْقِيهِ دَمَ الشاهْ . .

ثُمَّ اذْبحِى لِلطِفْلِ عِنْدَ الفَجْرِ حيّةْ . . واسْقِيهِ دَمَ

الحَيَّةِ السَّوْداءْ ولَطِّخِى وَجْهَ الصَّغيرُ بِبَعْضِ هَذ الدَّمْ

سعيد : ومَاذَا حَدَثْ . . ؟

سلام : عَادَ الصَّغيرُ لثَدْىَ أُمِّهْ . .

الهادى : شَىءٌ غَرِيبْ . .

سلام : سألَتْهُ الأمُّ لِمَاذَا يَشْرَبُ هَذا الدمْ . . ؟

قَالَ العَرافُ : طِفْلُكِ سَيَعيشُ يُحُبُّ الدمْ . .

الهادى : طفلٌ يُحِبُ الدَّمَ يَاسلاَّمْ ؟ . . شىءٌ مخيفْ

إنّى أخافُ على سُعادْ . .

مازَالَ فى أعَماقِهِ جُرْحٌ وَلَنْ يَنْسَاهْ . .

سعيد : تَخْشَى عَلَى امْرأةٍ ولا تَخْشَى البَلاءَ على

وطَنْ . . ؟

سلام : الفرْدُ بَلْواهُ بَلاءٌ للوطنْ

الهادى : الفِرْدُ فردٌ أيْنَمَا كَانْ . .

سلام : قَدتَحْيَا الأمَّةُ فِى فَرِدْ . .

وتموتُ الأمةُ فى فَردْ . .

سعيد : ومَاذَا عَنْ سُعادْ . . ؟

سَمِعْنَا مِنْ سِنينَ عَنْ حِكَايَتِهَا . .

الهادى : قَدْ كَانَ هذَا مُنْذُ أعْوامٍ طويلهْ . .

سعيد : أَتُرَى تَخَافُ لِأَنَّهَا حُرْمَهْ . . ؟

سلام : لَا . . بَلْ أَخَافُ لأَنَّها أُمَّهْ . .

سعيد : أُمَّهْ . . ؟ كَلامٌ غَرِيبْ . .

سلام : كانَتْ سعادُ فتاةً جميلَهْ . .

الهادى : صِفْها لَنَا باللّهِ ياسلَامْ . .

سلام : فِي وَجْهِها لَيْلٌ طَوِيلٌ لَمْ تُفَارِقْهُ ابتْسامَهْ . .

فِي طُولِها نهرٌ عَمِيقٌ لا تُطاوِلُهُ سَمَاءُ الكَوْنِ نُبْلاً

واستقامهْ . .

فى عَيْنِها أَمَلٌ وإيمانٌ . . وطَمْىُ النِّيلِ . . فَوْقَ

جَبِينِهَا أَحْلَى علامهْ . .

فِي ثَوبِهَا طُهْرُ الخَلِيقَةِ يَوْمَ أَنْ كانَتْ طَهَارَتُهَا تَهُزُّ

الأَرضْ كانَتْ صَيْحَةٌ مِنهْا قِيَامَهْ

واللّهِ كانَتْ أَجْمَلَ الفَتياتِ فى أَيَّامِهَا

عَبَرتْ عَلَى أيّامِها كُلُّ السَّحاباتِ الحزينهْ

لا أَدْرِى كَمْ عَاماً ولكنْ كُلُّ ما أَدْرِيهِ . . أعْوامٌ

كثيرهْ

الهادى : ومَاذَا بَعْدُ يا سلَّامْ . . ؟

سلام : جاءَ الحَجّاجُ ليَخْطُبَهَا . . رَفَضَتْ . .

سعيد : رَفَضَتْ . . ؟

سلام : كَانَتْ تُحِبُّ قريبَها عدنانْ
شابٌ جَميلْ . .
قَدْ كَانَ عِمْلاقاً كأَشْجارِ النَّخيلِ عَلَى ضِفَافِ
النّيلْ
قَدْ كانَ يُشْبِهُ طَمْىَ هذا النَهْرِ حينَ يُطَهِّر الأَشْيَاءَ .
كالصلواتِ فِينَا
قَدْ كَانَ يَعْشَقُهَا كثيراً مِثْلَ عَيْنِهْ . .
أخَذوهُ ليلةَ عُرْسِهْ . .
قتلوهُ أَمْ سجَنُوهُ . . أَمْ صَلَبُوهْ . . لا أَدْرِى . .
لَكِنّ عدنانَ مَضَى . .

الهادى : مُنْذُ مَتَى كَانَ هَذَا الزِّفافْ . ؟

سـلام : رُبَّما قَدْ كَانَ مِنْ عِشْرِينَ عاماً . .
رُبّما عشرُ سنين . . رُبَّمَا أكْثَرُ مِنْهَا أوْ أقلْ . .
لَسْتُ أدْرِى

سعيد : وماذَا جَرَى بَعْدَ هَذَا الزِّفافْ . . ؟

سلام : كَبُرَتْ سُعَادُ ورَغْمَ ماصَنَعَتْ بِها الأَيَّامُ عاشَتْ تنتظرْ

عدْنانُ لَمْ يَرْجِعْ . . وضاقَتْ كُلُّ أبوْابِ الأمَلْ . .

قالوا لَقَدْ جُنَّتْ سُعَادْ . .

حَمَلَتْ ثِيَابَ زِفَافِهَا ومَضَتْ تَطُوفُ عَلَى الشَّوارعِ

فى المقَاهِى . . فِي المساجدِ . . فى بيوتِ السّوءْ . .

تَحْكِي بَيْنَ كُلِّ النَّاسِ قِصَّةَ حُبِّها . .

ذَهَبَتْ لتَسْأَلَ فى السّجونِ فَلَمْ تَجِدْ أَثراً لَهُ . .

ظلَّت تُسائِلُ عنْهُ كلَّ الناس والأشْجارَ والأطْفَالَ

والأحْياءَ والـمَوْتَى . . وَلَمْ تَتْرُكْ أحدْ

لا أَدْرِى ماذَا يَفْعَلُ الحَجاجُ لوْ يوماً رآها . .

مازَالَ بَيْنَهُمَا حِسَابْ . .

(يَنْدَفِعُ إلى المَسْرَح مجْمُوعَةُ أطْفَالٍ صغارٍ يَصيحُونْ :)

الأطفال : يَاسُعادُ يامَجْنُونهْ . . يَاسُعادُ يَامَجْنُونهْ . .
ياسُعادُ يَامَجْنُونَهْ . .

المجنونهْ . . المجنونهْ . . المجنونه . .

(تَدْخل سعادُ المَسْرَح . . امرأةٌ

مُرْهَقَةٌ . . مُجْهَدَةٌ . . عَلَيْهَا بَقَايَا جَمَال وشَبَابٍ

غَارِبٍ . . تمْسكُ عُلْبَة صغِيرة تحْضُنُهَا . .

تَبْدُو عَلَيْهَا علاماتُ إرهاقٍ وتَعَبٍ وجُنُونْ)

سعاد : (تُكَلِّمُ نَفْسَهَا كأنَّهَا لَمْ تَرَ سلاَّماً وَمَنْ مَعَهُ فِي زِحَامِ

المَسْرَح) . .

عدنَانْ . . الْكَعْبَةُ هُدِمَتْ ياعَدنانْ . . أَتُراكَ

تُصدِّقْ ؟

مَنْ يَحْمِى الكعبَةَ غَيْرُ يدَيْك . . ؟

مَنْ يحمِى صَوْتَ الحقِّ وصَوْتَ الْعَدْلِ لِكَىْ يَبْقَى

بَيْنَ الأعْمَاقْ . . ؟

مَنْ يَحْمِى ضَوْءَ الصُّبْحِ الْغَارِقَ خَلْفَ سَحَابِ اللَّيْلَ

المُوحِشِ فى الآفاقْ ؟

نَفْتَقِدُ زَمَانَكَ ياعَدْنَانْ . .

(تَدُورُ سعادُ مَرةً أُخْرَى حَوْلَ نَفْسِهَا)

ما كُنتَ ياعَدْنَانُ تَعْرِفُ أَنَّنِي سأعِيشُ بَعْدَكَ

كالسَحابْ يَطُوفُ فَوْقَ الأرضِ لَيْسَ لَهُ قَرارْ . .

أَعَرفْتَ كَيْفَ يَضِيعُ عُمْرُ النَّاسِ فِي هذَا الوَطَنْ ؟

أَعَرَفْتَ كَيْفَ يَمُوتُ حُلْمُ المَرْءِ فِي هَذَا الزمنْ . . ؟

مِنْ أَجْلِنَا عدنانُ عُدْ . .

مَنْ أَجْلِ أَكْوامِ اليتامَى والحَيارَى فَوْقَ أشْلاءِ

الطريقْ . .

قَالُوا بأنِّى قَدْ جُنِنْتُ لأَنِّى أَبكِيكَ ياعُمْرِى كَثِيراً . .

ما كُنْتُ وَحْدِى حِينَما يَوْماً بَكَيْتُكَ ثُمَّ سَالَ الدَّمْعُ فِي

عَيْنَيَّ بِحاراً لَا تَجِفُّ وَلَا تَضِيعْ . .

أَتُرَى سَمِعْتَ صُرَاخَ أَطْفَالِ الْمَدِينةِ عِنْدَمَا سَارُوا

وَرَاءَكْ يَسْأَلُونَ النَّاسَ فِى حُزْنٍ عَلَيْكْ :

مَنْ يَحْمِلُ اللُّعَبَ الصغِيرةَ والحَكَايَا . . ؟

مَنْ يُمَرْجِحُهمْ صَبِيحَةَ كُلِّ عِيدْ . . ؟

(تَبْكِى سُعَادُ . . بَيْنَمَا يَتجِهُ إلَيْهَا سلامَ ويَطْردُ

الأطفالَ بَعيداً عَنْهَا)

سـلام : (يَقْتَرِبُ مِنْهَا وَيَضَعُ يَدَهُ عَلَى رَأْسِها فى حنانْ)
تُرِيدينَ شيْئاً . .

سـعاد : (تَنْظُرُ إلى سلامٍ فى حُزْن) . .
إنّى أُرِيدُ مِنَ الحَيَاةِ جميعِها شيئاً وحيداً
حُلْماً وَحِيداً . . يَوْماً وَحِيداً . . طَيْفاً وَحيداً . .
لكنَّه واللّهِ أَبْعَدُ مِنْ بَعيدْ . .

سـلام : مازِلْتُ أَعْرِفُ ياابْنَتِى . . عَدْنانْ

سـعاد : عدنانُ فِى عُمْرِى رجاءْ . .
عدنانُ فى قَلْبِى صَباحٌ لاَ يَغِيبْ . .
لكنَّهُ واللّهِ أَبْعَدُ ما يَكونْ . .
العُمْرُ يَهْرَبُ والسِّنِينُ تجُرُّ فى أَشْلائِها بَعْضَ السِّنِينْ
وأنَا عَلَى الأطْلاَلِ أَحْيَا أنتظِرْ . .

صـوت : عدنانُ عادْ . . عَدنانُ عادْ . .

صـوت : لا . . بَلْ هُوَ الحَجَّاجُ عادْ . .

« إظـلام »

الفصـــل الثــانى

(فى ميدانٍ عامٍ . . وعلى مكان يشبهُ منابَر المساجـدِ . . يقفُ الحجاجُ صامتاً لا يتحركُ ولا يتكلمُ . . والشعبُ يَلْتَف حولَهُ)

كـريم : موْلاىَ ياحَجّاجُ يانوراً تألَّقَ فى سماءِ قلوبِنَا . .

يافرْحةَ الأيامِ فى أعْماقِنَا . .

يانَسْمةً تخْتالُ بَيْنَ رُبوُعِناَ . .

ياتاجَ عِزٍّ يَشْتَهيهِ زَمانُناَ . .

يا رمزَ كُلِّ المجْدِ فى أيامِنا . .

قَدْ طُفْتَ فى بغدادَ فى عَمّانَ . .

فى بيْروتَ فى حلبٍ وقلبِ القاهرهْ

مولاىَ ياحجاجُ يانبْضَ القلوبِ الثَّائرهْ . .

عبد اللّه : أيَا حجاجُ يا ابن الكرامْ . .

ويا بدْراً تألّقَ فى الظلامْ

فأنْتَ الحقُّ فى يَدِنا دَلِيلاً

ونحنُ الآنَ نَنْعَمُ بالسلامْ . .

صفاء الملك : أنتَ الزَّعيمُ ولا سِواكَ زعيمُناَ

أنتَ الحبيبُ ولَيْسَ غيرَكَ ياحبيبَ قلوُبِناَ

أنْتَ الذى عادتْ وبينَ يديْكَ عِزةُ أرضِناَ

أنْتَ الذى مَنحَ الأمانَ ومزَّقَ الأعْداءَ بينْ صُفوفِناَ

أنْتَ الذى يَحْمِى العُروبةَ فى العِراقِ وفى دمَشق

وفِى المدينةِ عِنْدَ مكةَ يانَصيرَ شُعوبِناَ

كـريم : أَنْتَ الزعيمُ الذى تُرْجَى شَفَاعتُهُ

عبد اللّه : البيتُ يامَلْعونُ فى مَدْحِ الرّسولْ . .

كـريم : أولوُ الأمْرِ يأتوُنَ بَعْدَ الرسولْ

هُوَ الآنَ يأَتِى بعدَ الرسولْ . .

قالَ تعالَى : « أَطِيعوُا اللّهَ وأطيعوا الرَّسوُلَ

وُأولِى الأَمْرِ مِنْكُمْ »

صفاء الملك : لِماذَا لا يقولُ الآنَ شيْئاً ؟

(الحجاجُ يقفُ صامتاً لا يتكلمُ ولا يتحركُ ويكادُ لا يتنفسُ ويتابعُ ما حَوْلهُ)

عبد اللّه : (هامِساً) هَلْ الحجاجُ أطرشْ . . ؟

كـريم : ياوَيْحِى لم يسْمَعْ شيئاً مماً قُلناهْ

صفاء الملك : ضاعَ المديحْ .

عبد اللّه : هُو حاكِمٌ ابْلَه .

صـوت : لا يَسْمَعُ شيئاً .

صـوت : ينظرُ فى خوفٍ كالمجنونْ . رَجُلٌ مجنونْ .

رجُلٌ مَجْنونٌ يحْكُمُنا ؟

رجلٌ لا يَسمعُ يحْكُمُنَا ؟

كـريم : رجُلٌ . . ومقطوعُ اللسانْ . . ؟

عبد اللّه : لا إِنَّهُ رجلٌ . . ومربوطُ الّلسانْ .

صفاء الملك : هيَّا ارْبِطوهْ .

صـوت : هيَّا اصْفَعوهُ على قَفاهْ .

كـريم : قَفاهُ عَرِيضْ .

صـوت : هذى العَمامةُ خلْفَهَا طرْطُورْ .

صـوت : بَلْ خلْفَهَا ذيْلٌ كبيرْ .

عبد اللّه : قَدْ نامَ مِنَّا . . أَيْقِظوهْ .

كـريم : دعُوهُ الآنَ كىْ يَغْفو قلِيلاً . . فقدْ يَنْطِقْ

أصـوات : رجلٌ معتوهٌ يَحكمُنا ؟!

أصـوات : هَيَّا كىْ نَخْرُجَ . . هياً كىْ نخرجْ .

(يهمُ الناسُ بالخروجِ منَ المكانِ)

(فجأةً يقفُ الحجاجُ . . رافعاً سيفَهُ وهوَ يصرخُ فيهمْ)

الحجاج : أَنَا ابْنُ جَلاَ وطلَّاعِ الثَّنَايَا

أَنَا الجلادُ تُسْكِرُنى المنَايَا

أُحِبُّ الدَّمَ لَمْ أَعْشَقْ سِواهُ

وأَجْمَلُ ما أَرَاهُ دَمُ الضَّحايَا

أنا الحجاجُ ياشعْبَ النعاجِ . .

واللّهِ لَنْ أُبقِىَ بِكُمْ رجلاً

ولنْ أُبقِىَ لَكُمْ أمَلاً ، إذا كنتمْ بِهذا الحالْ

إِنِّى لأعْلَمُ كُلَّ ما فِيكُمْ

جُبَناءُ إنْ خفْتُمْ

سُفَهاءُ إنْ سُدْتُمْ

تخشوْنَ بَطْشَ الحاكمِ الجبّارْ

تَنْسَوْنَ وجْهَ الواحدِ القهّارْ

وتُغَيِّرونَ وجوهَكُمْ وجلُودَكُمْ

يأْتِي المساءُ بغَيْرِ ما حَمَلَ النَّهارْ

فَلَقَدْ عَبَدْتُمْ طَاعَةَ الحكامْ

حكامُكُمْ فوقَ الرُّؤوسِ لأَنَّهمْ أَحياءْ

حكامكُمْ عِنْدَ الحياةِ مساجدُ ومنابرُ ومباخِرْ

حتَّى إذاَ ماتوْا نبشْتُمْ قَبْرَهُمْ

وغرسْتُموا فوقَ القبورِ خَناجرْ . .

علاء الدين البنهاوى . .

علاء الدين : باسمِى وباسْمِ رِجَالنَا . . إنَّا نُرِيدُ الحكْمَ باسْمِ

اللهِ باسمِ الحقِّ باسْمِ الدِّينَ .

نُرِيدُ القصَاصَ من السارقينْ .

نُرِيدُ الحِمايةَ للجائعينْ

نُرِيَدُ القصَاصَ من السارقينْ .

نُرِيدُ الحمايةَ للجائعينْ

نُرِيدُكَ سيْفاً على الطامِعينْ

وهدْياً ونُوراً للحائرينْ .

وليْلاً طويلاً على العابثينْ .

فدَيْناكَ يا أَعْدَلَ الحاكمينْ

هتافات : افْتَحْ سجونَك للظالمينْ .

نُرِيدُكَ سيْفاً على الطامعينْ

وليْلاً طويلاً على العابثينْ .

الحجاج : أنتمْ تخافُونَ القَوِىَّ

وأنا أخافُ اللهَ فى ضعْفِ الضَّعِيفْ

(رفيق الأنس الطوالى)

رفيق الأنس : يا سيّدَ الأُمَراءِ جِئتُكَ خائِفاً

فَأناَ أخافُ أمامَ هاماتِ الرجالْ .

إِنّا نُريدُ الآنَ يا مولاىَ شيئاً واحداً .

نرْجوكَ يا مولاىَ شيئاً واحداً . . مولاىَ حقِّقْ

حُلْمَنَا .

إناَ نجدِّدُ بَيْعَتَكْ .

الشعبُ يَعْشَقُ طَلْعَتَكْ .

ما دُمْتَ فِيناَ . أنْتَ زَعيمُناَ .

حتىَّ إذا مامِتَّ يامولاىَ تَبْقىَ حاكِماً ومُعلماً

فالحزبُ يامولاىَ جدِّدَ بَيعَتكْ . .

هتافات : جدَّدْنَا البَيْعَةَ ياحجاجُ . . جددنَا البيعةَ

ياحجاجُ . .

بالرُّوحِ بالدمِ نَفْدِيكَ ياحجاجْ

بالروحِ بالدمِ نَفْدِيكَ ياحجاجْ . .

الحجاج : واللهِ إنِى لا أَخُافُ مِنَ الشعوبِ رِجالَهَا

لكنَّنِى واللّهِ أخْشَى فِى الشعوُبِ نِفاقَها

أنا لاَ أُحِبُّ بأنْ أكونَ قداسةً بينَ القلوبِ فتعبُدونَ

مشيئَتِى . . فَأنَا بَشرْ

فِى كلِّ شىءٍ تَعْرِفونَ عَنِ البشرْ

ضَعفِى وخَوْفِى وانْهيارِى . . قوّتِى . .

دينِى وذَنْبِى وانْبهارِى . . سطْوتِى

فِى كلِّ شىءٍ لنْ أكونَ سِوَى ضَمِيرِى

لكنّنى واللّهِ أرفُضُ أنْ أُهينَ . . وأَنْ أُهَانْ . .

(حسب اللّه كامل حسب اللّه)

حسب اللّه : قَدْ كُنْتَ يا حجاجُ حُلْمَ الكادِحِينَ الجائِعين
الساقطينْ . .
إناَّ نُرِيدُ الآنَ حُكْمَ الكادِحِينْ . .
يَأْتِى الوزيرُ وليسَ يَمْلِكُ دِرْهَماً
يَأْتِى فقيراً مُعْدَماً
ويُحاولُ المِسكينُ أَنْ يَبْنِى ولَوْ شيئاً صغيراً
للعِيالْ . . بَيْتاً صغيراً . . بعدَهُ قصراً كبيراً . .
بعدَهُ سكَناً مُريحاً فوْقَ نهرِ النيلْ . .
أَوْ سكناً على أمواجِ نهرِ السينْ . .
مليونٌ هُنا أَوْ نِصفُ مليونٍ هناكْ . .
لُيزوِّجَ الأبناءَ يَسْتُرَ عِرْضَهُمْ . .
كلُّ الذى يَبْغِيهِ يامولاىَ يَسْترُ عِرْضَهُمْ . .

هتافات : لا فَسادَ ولا إفْسادْ . .
لا فسادْ ولا إفْسادْ . .

الحجاج : أنتمْ إذاَ خِفْتُمْ صَمَتُّمْ

لكنكُمْ واللّهِ إنْ سُدْتُمْ أَهَنْتُمْ

والصَّمْتُ دَوْماً شِيمَةُ الضُّعفاءْ

أمَّا الإِهَانَةُ فَهِيَ دَوماً شِيمَةُ الجبناءْ

لا تجْعلونى كعبةً ما دُمتُ حيًا بينكُمْ

حتىَّ إذاَ ما مِتُّ صِرْتُ رِوايةً

قِصصاً تُسَلُّونَ الصِّغارَ بها . . فهذاَ شأْنُكُمْ . .

علاء الدين : نُريدُ النزاهةَ فى كلِّ شيْءٍ . .

نريدُ رجالاً إذاَ أقْسمُوا

يَبِرّون حتْماً بِمَا أقسَمُوا

نريدُ رجالاً إذا آمَنوا

يموتُونَ مِنْ أجْلِ إيمانِهِمْ

نريدُ العدالةَ فى العيْشِ ، فى المْوتِ ، فى القَبْرِ . .

حسب اللّه : نريدُ رغيفاً لكلِّ البُطونْ .

وبيْتاً صغيراً وحُلْماً كبيراً .

رفيق الأنس : يالأمس يا مولاى عانقنى خيالُكَ فى المنامْ

فرأيتُ حلماً . .

فنذرتُ للرحمن صوماً إن رأيتُكْ
أقسمتُ ان يوما رأيتكَ ان أقبِّلَ جبهتك
وأطوفَ حولَكَ كي أشاهدَ طلعتَك
مولاى دعنى كى أُقبْل جبهتك
أو أن أقَبل أى شىء فيك

علاء الدين : الآنَ ياحجاجُ بينْ يديْكَ سيفُ اللّهِ . .
فَلْتَقْطعْ به رأسَ الفسادْ . .
لَمْ يَبْقَ شىءٌ لَم نُتاجِرْ فيهِ ياحجاجْ . .
فى الخبزِ تاجَرْنا . . فى الأرضِ تاجرْنَا
فى العِرْضِ تاجرْنَا . . فى العُمْرِ تاجَرْنا
فى الدّينِ تاجَرْنَا . .

الحجاج : الحكْمُ سوْفَ يكونُ شُورَى إِن سمِعْتمْ حِكْمةَ العُقلاءْ
لا تتْركُوا حُكْمَ الشُّعوبِ لسَطْوةِ الجبناءْ
أَنَا لاَ أخافُ لأنَّ سَيْفِى لا يخافْ
لكنَّ سَيْفِى لا يُحُبُّ دماءَ مظلومٍ
وَلَمْ يقطَعْ رِقاباً مُستَجيرةْ .

رفيق الأنس : الآنَ يُعْلِنُ حِزْبُنَا القوْمِى :

تجديدَ الأمانةِ للأمينْ .

الحجاج : لا تَحكمُوا الأوْطانَ فى صَمْتِ المقابِرْ

فالموتُ فى أوطانِكُمْ بَدءُ الحياهْ

وأنَا أرَى أنَّ الحياةَ هِىَ الحياهْ

لا تجْعَلوا الموْتَى رُمُوزاً فى معابدِكمْ

وأشْباحاً تُطارِدُكُمْ

وسَجَّاناً يُحاسِبُكُمْ . .

أمواتُكُمْ أَحْياءُ رغْمَ القبْرِ والأكْفانْ

أحْياؤكُمْ مَوْتَى وإنْ سَكَنُوا القُصُورَ وزيَّنُوا الجُدْرَانْ

سلام : هَدَمْتَ الكعبةَ ياحجاجْ . .

أعْماكَ الخَلقُ عن الخالِقْ . .

الحجاج : لَـمْ أهدِمْ شيئاً . .

فأَنَا أكثرُكُمْ إيماناً

وأخافُ الخالِقَ أكثَرَ مِنْكُمْ

لكِنىً لَنْ أرْضَى أَبداً

أَنْ يَغْدُوَ الإسلامُ طَريدا

أنْ يُصْبحَ يوماً أشْلاءً

وبَقايَا دينٍ وعَقِيدهْ . .

سلام : ماذا تَقْصِدُ ياحجاجُ ؟

الحجاج : لَنْ أقْبَلَ يوماً . .

أَنْ يَقْتلَ سَيْفُ المسلمِ سيْفَ أخيهْ . .

لَنْ أقْبلَ يوماً . .

أنْ يُهْدَمَ دينى مِنْ دينى . .

فى زَمَنِ الْفِتْنَه . .

لا تَتْركْ سيْفَ الجُبناءْ

كُنْ أنْتَ السيْفَ . . واجْعلْ مِنْ سيْفِكَ مِيزاناً

قَدْ تَقْطَعُ جُزْءاً . . كَىْ تَحْمِىَ الكُلْ . .

قد تَبْتُرُ فَرْعاً . . كَىْ تُنْقِذَ شجرهْ . .

قدْ تَقطَعُ جُزْءاً مِنْ إنسانْ . .

كَىْ تُنقِذَ عُمْرَهْ . .

إِنىِّ أنقذْتُ الاسلامْ . .

فهدَمْتُ الكعبةَ كَىْ يَبْقَى ديناً . . وعقيدَهْ . .

سلام : باللّهِ كَيْفَ يُبيحُ قَتْلَ المسلمِينَ عَلَى قرابين الطُّغاةْ ؟ . .

شيءٌ عَجِيبٌ أَنْ يَصيرَ القتلُ قانُونَ الحياةْ

الكعبةُ بيتُ اللّه . .

هَلْ تَهْدِمُ بيتَهْ ؟ !

الحجاج : اسْمِى الحجاجُ . .

هَلْ تَعْرِفُ ما يَعْنِى اسْمِى ؟

إنِّى للكعْبةِ أَنْتَسبُ .

فى الكعْبةِ اسْمِى .

أَنْ أَهْدِمَ حَجَراً فِى بُنيانْ .

فَلِكَىْ احْمِى الدِّينَ . . مع الديّانْ .

إِنِّى إنسانْ . .

فى ضَعْفِى كنتُ الانسانْ .

فى دينى كُنْتُ الإنسانْ

فِى خَطَئى كنتُ الإنسانْ . .

فى ظُلْمِى كنتُ الإنسانْ

لكنَّ الفتنةَ بُركانْ . . وأَنَا واللّهِ أُحاصِرُهَا

لَنْ أَتْرُكَ هذا البُرْكانْ . .

سلام : لوكُنْتَ ياحجاجُ تَخْشَى اللّهَ ما داسَتْ خُيُولُكَ كَعْبَتَهْ . .

الحجاج : أَخْشاهُ ولكنْ فى خَلْقِهْ . .

إنىِّ لَأَعْلَمُ أَنَّهُ جبَّارْ . .

إنىِّ لَأَعْلَمُ أَنَّهُ قهَّارْ . .

لكنَّنى واللّهِ أَعْلَمُ أنَّ رَحْمَتَه سَتَسْبِقُ غَضْبَتَه

وبأنَّ ذنْبِى لا يُطاوِلُ جَنَّتَه

بَعْضُ الخطيئةِ قَدْ يكونُ طريقَنا للّهْ . .

ما أصْدَقَ الإيمانَ حِين يَجِىءُ بَعْدَ الكُفْرِ

ما أجْمَلَ الغُفْرانَ حِينَ يجىءُ بَعْدَ المعْصِيهْ

وأنا عَصَيْتُ اللّهَ كَىْ اسْتَغْفِرَهْ . .

هَلْ أَقْضِى العُمْرَ أُصَلِّى الفَجْرَ . . أَصُومُ الدَّهْرَ

وَأَسْرِقُ حقاً للضُّعفاءْ ؟

هَلْ أَقْضِى العُمْرَ أبِيعُ القَوْلَ ، وأُفْتِى النَّاسَ

وَيُسْكِرُنِى زَيْفُ الجُهلاءْ ؟

سلام : وحَقُّ اللّهِ يا حجاجْ ؟

الحجاج : حِين تُقابِلُ ربَّ النَّاسِ . .

تَراهُ يُسامِحُ فى حَقِّهْ . .

وتَظَلُّ عليكَ حُقوقُ النَّاسْ . .

سلام : إنَّ الخطيئةَ لَنْ تَكُونَ طَرِيقَنَا للّه . .

هَذا وربِّ النَّاسِ إسْلامٌ عَجِيبُ

هَذَا وربِّ النَّاسِ إيمانٌ غَرِيبُ

حسب اللّه : (مستعرضاً) يا حجاجُ . . ماذَا يَعْنِي حُكْمُ الشُّورَى . . ؟ .

الحجاج : حُكمُ العُقَلاءْ . .

صوت : وَمَن العُقَلاءْ . . ؟

الحجاج : مَنْ مَلَكُوا عَقْلاً وفَضِيلهْ . .

إنْ كَانَ العقلُ بِغَيْرِ فَضِيلهْ . .

سادَ الجُبناءُ . .

إنْ كَانَ الفَضْلُ بِغَيْرِ العَقْلِ

سادَ الجُهَلاءُ . .

رفيق الأنس : نَخافُ علَيْكَ رِفَاقَ الخَطيئَهْ . .

الحجاج : فى كُلِّ شىءٍ سوْفَ أَسْأَلُكُمْ . .
لكنِّنى أَخْشَى رِفاقَ السُّوءْ . .
(يُكَلِّمُ نَفْسَهُ)
إذَا كَرِهُونِى فَلَنْ يُنْصِفُونِى
وإن حارَبُونِى فَلَنْ يَرْحَمُونِى . .
حسب اللّه : هَلْ تَحْكُمُ فِينَا بالشُّورَى . . ؟
الحجاج : لَنْ أَحْكُمَ إلاَّ بالشُّورَى . .
أصوات : لَنْ يَحْكُمَ إلاَّ بالشُّورَى . .
الحجاج : أُريدُ الآنَ أَنْ أَخْتَارَ مِنْكُمْ
أَنا أَخْتارُ . . أَمْ أَنتمْ ؟
أصوات : نَخْتَارُ نَحْنُ . .
الحجاج : إيَّاكُمْ وَرِفاقَ السُّوءْ . .
أصوات : سنخْتارُ مِنَّا خِيارَ الرِّجالْ
الحجاج : اِختارُوا أعْقلَ مَنْ فِيكُمْ . .
(يَظْهَرُ ثلاَثةُ رِجَالٍ يَرْفَعهُم النَّاسُ على الأَعناقِ
يَرْتَدونَ ملابِسَ بالِيَةً ، وَهُمْ : حسب اللّه ،

ورفيق الأنس وعلاء الدين ، وهم رؤساءُ
الأَحزابِ الثَّلاَثة)

أصوات : اَخْتَرْنَا أعْقَلَ مَنْ فِينَا . .
إِخْتَرْنَا أَصْدَقَ مَنْ فِينَا . .
إِخترْنَا أَخْلَصَ مَنْ فِينَا . .

هتافات (كُلُّ مجموعةٍ مِنَ الجماهَير مَعَهَا زَعيمُهَا)
« حبيبكُمْ مِينْ . . رَفِيقُ الأُنس . . »
« حسب اللّه كامل حسب اللّه . . »
« علاء الدين . . عماد الدين » . .

(يرفعُ الشعْبُ الحجاجَ مَعَ رِجَالِهِ الثلاثَةِ يَهْتِفون بحياتِهِمْ وهُمْ يُغادِرُونَ المسرحَ بَينَما يقِفُ فِي رُكْنٍ بَعِيدٍ « سلام » وحيداً بمسبحتهْ)

سلام : شيءٌ عجيبٌ ما أَرىَ . . شيءٌ عَجِيبْ . .
رجُلٌ تَسِيلُ عَلَى يَدَيْه دِماءُ كعبتِنَا الشرِيفَةِ . .
ثُمَّ نَحْمِلُهُ عَلَى الأعْناقْ
زمَنٌ طويلٌ أَنْتَ . . يا زَمَنَ النِّفاقْ . .

زَمَنٌ عجيبٌ أنْتَ يا زَمَناً يَعِيشُ عَلَى النِّفاقْ . .
لا دِينَ . . لا إيمانَ . . لا نُبْلَ ولاَ أخْلاقْ

« اظـــلام »

الفصل الثالث

سعاد : عدنانٌ والحجاجُ . .

ليلٌ وصُبحٌ كيف يَجْتَمِعَانِ . . ؟

طُهْرٌ وعِهْرٌ . . كَيْفَ يَجْتَمِعَانِ ؟

نُبْلٌ وبَطْشٌ . . كَيْفَ يَجْتَمِعَانِ ؟

عَدْلٌ وزُورٌ . . كَيْفَ يَجْتَمِعَانِ ؟

فَرِحٌ وحُزْنٌ . . كَيْفَ يَجْتَمِعَانِ ؟

(تَضحَكُ سُعَاد وهِىَ تَـدُورُ عَلَى المَسْـرَحِ فِيمَا يُشْبِـهُ نَوْبَـةَ الجُنُونِ)

سعاد : عدنانٌ والحجاجُ . .

عدنانُ طُهْرٌ فِي زمانِ المَعْصِيهْ . . هذَا زمانُ
المَعْصيهْ . .

صوت : عدنانُ عِنْدَ الفجْرِ عادْ . .
قَدْ كَانَ يَرْكَبُ بَغْلةً بيضاءْ

سلام : ما أَسْخَفَ الإِنْسَانَ حِينَ يَصيرُ دَجَّالاً
وَيَسْخَرُ مِنْ جِراحِ الناسْ !
عدنانُ يَاولَدِى مَضَى . . وَمَضَى بِعيداً .
هيْهاتَ يوماً أَنْ يَعُودْ
كُلُّ البِلادِ يَعودُ مِنهّا الرَّاحِلُونْ . .
إلاّ المقَابرُ لَمْ يَعُدْ مِنْهَا أحَدْ

سعاد : (تُكَلِّمُ نَفْسَهَا)
مازلْتُ أَذْكُرُ يَوْمَ أَنْ رَحَلَ العفَافُ عَنِ المَدِينةِ
كُلِّها
قَدْ كَانَ يَلْبَسُ ثَوْبَهُ الفِضِّىَّ . . نَفْسَ الثَّوْبِ . .
يَخْطُبُ فى جُمُوعِ النّاسْ
مازِلْتُ أَذْكُرُ كُلَّ شىْءٍ فيهْ . .

العينُ نَفْسُ العَينِ . .

والوجْهُ نَفْسُ الوجْهِ نَفْسُ الحُلْمِ . . نَفْسُ

الكِبرياءْ

صوت : هذا يُذَكِّرُنَا بقصَّة ذَلِكَ العِفْرِيتْ . .

فى مِثْلِ هَذَا الشَّهْرِ مِنْ عَامٍ مَضَى . .

قَالُوا أتَى فى الفجر عفْريتٌ بِلَونِ اللَّيْلِ طَافَ

الحَىَّ . كُلَّ الحَىّ . .

زارَ الناسَ أحياءً وأمْواتاً وَلَمْ يَتْرُكْ أحَدْ . .

زَارَ المقابِرَ كُلَّها . . ومَضَى يَطُوفُ عَلَى البُيُوتِ

فَزَارَهَا بَيْتاً فَبَيْتا . .

صوت : قَدْ جَاءَ عِنْدَ الفَجْرِ ، كُنْتُ هُناكْ .

ورَأيْتُهُ فِى اللَّيْلِ يَمْشِى ثُمَّ يَهْرَبُ . . ثُمَّ يَظْهَرُ

ثم يَبدو من بَعيدْ

ولَمَحْتُ شيْئاً دارَ حوْلى فى ثِيابٍ مِنْ خُيوطِ

اللَّيلْ . .

عيْناهُ كالبُرْكانْ . .

فَمُهُ كَنَهْرِ النيلِ حِينَ يَجُوعْ . .

صوت : وَمَتَى يَجُوعُ النّيلُ ياسَلامْ . . ؟

سلام : إنْ جَاعَ أهلُه . .

سعاد : هَذَا هُوَ الحَجَّاجُ يَاسَلاَّمُ . . نَهرُ النِّيلِ حِينَ يَجُوعْ . .

سلام : أَرَأَيْتَ عِفْرِيتاً يَطُوفُ بِحَيِّنَا . . ؟

مَازِلْتَ تَكْذِبُ ياهِبابَ الطِّينْ . .

قَدْ جَاءَنا العِفْرِيتُ نَفْسُهْ . .

سعاد : عَدْنَانُ يَاعَدْنَانُ . .

عِشْرُونَ عاماً سافَرَتْ . .

عاماً يَفِرُّ وَرَاءَ عَامْ . .

دَهْرٌ طوِيلْ . .

قَدْ كَانَ يا عدْنانُ ما قَدْ كَانْ . .

قَد كُنْتَ إنْساناً . .

وَيَنْدُرُ أَنْ تَرَى فى الأرْضِ بَيْنَ النَّاسِ إنْسانـا . .

سلام : قَدْ طَالَ حَمْلُكِ يا ابْنَتِي . .

سعاد : أنَا لَسْتُ أَدْرِى كَمْ يَطولُ الحَمْلُ يا سلاَّمْ . .

عامين ؟ عَشْرةً ؟ لَسْتُ أَدْرِى عُمْرَ هَذَا الحَمْلِ . .

النَّاسُ تُنْجِبُ في شُهُورٍ . . وَمَضَى عَلَى حَمْلِي
سنونْ . .

سلام : عِشْرُونَ عَاماً يا ابنَتِي عُمْرٌ طَوِيلْ . .

صوت : مَازِلْتُ أَذْكُرُ عِنْدمَا حَمَلُوهُ عِنْدَ الفَجْر . .

صوت : عَدْنَانْ . . صلَّى ومَاتْ . .

صوت : لاَ . . بَلْ مَاتَ عِنْدَ العَصْر

صوت : سَجَنُوهُ فِي القناطِرْ

صوت : سَجَنُوهُ فى جَبَلِ المُقَطَّمْ

صوت : دَفَنُوهُ فِي بَغْدَادْ . .

صوت : دَفَنُوهُ فِي البَحْرِينْ . .

صوت : دَفَنُوهُ فِي سُورْيَا . .

صوت : قَتَلُوهُ فِي صَنْعَاءْ . .

صوت : ذَبَحُوهُ فى الرياض

صوت : صَلَبُوهُ فِي الكُوَيْت . .

صوت : ذَبَحُوهُ فِي الخُرْطُومْ . .

صوت : قَتَلُوهُ فِي الدوحَهْ . .

صوت : سَجَنُوهُ فِي عَمَّانْ . .

صوت : فِي أَبِي ظَبْيٍ تَوَارَى . .

صوت : صَلَبُوهُ فِي بَيْرُوتْ . .

صوت : بَلْ مَاتَ فِي تُونِسْ . .

صوت : فِي المَغْرِبِ العَرَبِي . .

صوت : بَلْ مَاتَ فِي لِيبْيَا . .

سعاد : قَدْ مَاتَ فِي هَذِي البِلادِ جَمِيعِها . .

مَنْ أَجْلِ أَنْ يَبْقَى بِهَا الحَجَّاجْ . .

صوت : عَدْنَانُ مَجْنُون وعِندِي ما يُؤَكِّدُ ما أَقُولْ . .

سلام : عَدْنَانُ أَعْقَلُ مَنْ رَأَتْ عَيْنَايَ فِي هذَا الوَطَنْ . .

صوت : سُعادْ . . قُولِي لَنَا . . عدْنَانُ ماتْ . .

سعاد : وَمَتَى يَمُوتُ النَاسُ . . ؟

كَيْفَ نَمُوتُ ؟ أَيْنَ نَمُوتُ . . ؟ هلْ سَنَموتْ . . ؟

مَا الفَرقُ بَيْنَ المَوْتِ يا هَذَا وبَيْنَ حياتِنَا . . ؟

لافَرْقَ عِنْدِي بَيْنَ مَوْتٍ أو حَياهْ . .

الفَرْقُ عِنْدِي بَيْنَ يَوْمٍ عِشْتُهُ . . وأراهُ يَرْحَلُ مِثْلَ عَيْنِي ثُمَّ يأْبَى أَنْ يَعُودْ

الفَرْقُ عِنْدِي بَيْنَ إنْسَانٍ يَعِيشُ وبَيْنَ آخَرَ لا يَعِيشْ

مَنْ قَالَ إنَّ النَاسَ مِثْلُ الناسْ ؟

مَنْ قَالَ إن العُمْرَ مِثْلُ العُمْر . . ؟

يَوْمٌ بِلاَ عدْنَانَ عِنْدِى لا يُسَاوِى أىَّ شَىْء . .

مَا أَكْثَرَ الأَحْيَاءَ فى أوْطَانِنَا !

لكنَّهُمْ مَوْتَى . .

لا شَىءَ يَنْقُصُهُمْ سِوىَ كَفَنِ القُبورْ

يتكلَّمُونَ ويأْكُلُونَ ويَشْرَبُونَ ويَحْكُمُونْ . .

لكنَّهُمْ مَوْتَى . .

صوت : باللّهِ هيّا خَبِّرِينَا يا سُعادْ . .

عدْنَانُ فِى سِجْنِ القَنَاطِرِ ، أَمْ يَنَامُ الآنَ فِى قَبْرٍ

صَغيرٍ فِى دمشقْ . . ؟

سعاد : أوطانُنَا صَارَتْ سجوناً واسعهْ . .

والسَجْنُ سِجْنٌ أَيْنما كان . .

النَّاسُ تَعْشَقُ عُمْرَهَا فى الطِّينِ حِينَ يَجُودْ . .

فِى المَاءِ حِينَ يَفِيضْ

أنُحِبُّ مَاءَ النهر إنْ مُتْنَا مِنَ الظَّمأ الطَّوِيلْ . . ؟

أُحِبُّ أَشْجَارَ النخِيلِ ، نَحْنُ تَحْتَ جُذُوعِهَا
نَلْتاعُ جُوعا ؟
لاتَدَّعُوا أَنَّا نُحِبُّ الأَرْضَ حُبّاً فِي التُّرابْ
فالنَّاسُ لا تَهْوى التُرابْ . .
النَّاسُ تَعْشَقُ أَرْضَهَا مِنْ أجْلِ بَيْتٍ أَوْ حبيبٍ
أو رَغيفٍ أو أمَلْ
أَمَّا التُّرَابُ فَلَا يُسَاوِى أَىَّ شَىْءٍ كَىْ يُحَبْ . .

صوت : ماذا عَن الحجاجْ . . ؟

سعاد : لا تَسْأَلُونِي عَنْهُ . . إِنِّى أَكْرَهُهْ . .
فِى أَىِّ أَرْضٍ أَكْرَهُهْ . . فِى أَىِّ عَصْرٍ أَكْرَهُهْ . .

صوت : قَدْ جاءَ يَحْكُمُنَا هُنَا . . وَرِجَالُهُ كالنَمْلِ فِى كُلِّ
الشَّوَارِعِ يَمْرَحُونَ ويَلْعَبُونَ ويَقْتِلُونْ . .
هَدَمَ الحَرَمْ . .

سعاد : مَنْ يَقْتُلُ الانْسَانَ فِينَا لَيْسَ يَعْنِيهِ الحَرَمْ . .
مَنْ يَسْجِنُ الأَنْفَاسَ قَهْراً فِى الصُّدورِ وَيَهْدِمُ
الإِنسانَ لَا يَخْشَى الحَرَمْ . .
وغَداً سَيَهْدِمُ كُلَّ شَىْء . .

صوت : عدنانُ حَيٌّ يَاسعادْ . .

سعاد عدنانُ روْجي . .

وهُناكَ طفْلٌ بين أحْشائِي سيُولَدُ ذَاتَ يَومْ . .

إنِّي حَمَلْتُكَ في ضَمِيرِي بَيْنَ أحْضَاني وفي

عَيْني ضِياءْ . .

إنِّي نَذَرْتُكَ لِلْخَلاصِ ، وَلَيْسَ فِي يَدِنَا الخَلاَصْ

صوت : ومَتَى حَمَلْتِ ؟

سعاد : عِشْرُونَ عَاماً . . وما زَالَ حُلْمِي . . ومَا زَالَ

طِفْلِي بَيْنَ الضُّلُوعْ . .

أصوات : جَاءَ الجُنونُ . . جاءَ الجنونْ . .

صوت : جُنَّتْ سُعادْ . . جُنَّتْ سعادْ . .

صوت : سُعادُ لَمْ تَكُنْ بِكْراً . .

صوت : حَمَلَتْ سِفَاحاً . .

صوت : هِي زَانِيهْ . .

سعاد : عدنانُ زَوْجِي . . والحُلْمُ حُلْمِي . . والطِّفْلُ

طفْلِي . . والعارُ عَاري . .

صوت : عدنانُ حَيٌّ عِنْدَهَا تُخْفِيهِ فِي بَيْتٍ صغِيرْ . .

(يظهرُ ضـابطُ بُوليس فى مَـلابِسَ عَصْرِيـةٍ ومعهُ جِهـاز لاسلكى ورجالُ الشُرْطَة)

الضابط : مَاذَا هُنَاك . . ؟

صوت : عدنانُ عادْ . .

الضابط : عدْنانُ عادْ . . ؟ مَنْ قَالَ هَذَا . . ؟

صوت : سعاد . .

الضابط : وأيْنَ سُعادْ . . ؟

(يُشيرُونَ عَلَيْهَا وَهُمْ يَهْرَبُونَ . . وَيَقِفُونَ بَعِيداً عَنْهَا)

الضابط : ما اسْمُكِ ؟ . .

سعاد : اسْمِى سُعادْ . .

الضابط : وأبُوكِ مَنْ ؟

سعاد : تبرّأْتُ مِنْهُ فَقَدْ بَاعَنِى فى مزادٍ رَخيصْ . .
وأصْبَحَ عِنْدِى ـ زَمَاناً قدِيماً . .

الضابط : وأُمُّك . . ؟

سعاد : ماتَتْ وَلَمْ تَتْرُكْ لَنَا شَيْئاً يُذَكِّرُنَا بِهَا . .

الضابط : عُنوانُكِ . . ؟

سعاد : وَطَنٌ كَبِيرٌ كُلُّ مَا أَعْطاهُ لِي . . بعضُ الدُّموعْ . .

الضابط : وبطاقَتُكْ . . ؟

سعاد : قَدْ غيرُوهَا أَلْفَ مَرَّةْ . . مَزَّقْتُهَا ونَسيتُهَا . .

الضابط : عدنانُ أينْ . . ؟

سعاد : أَوَ تَعْرِفُهْ . . ؟

الضابط : نَعَم أَعْرِفُهْ . .

سعاد : قَدْ زَارَنِي فِي الحُلْمِ مُنْذُ شُهورْ . .

قَدْ قَالَ إِنَّ اللّيل سوف يَطولُ بَعْضَ الوَقْت ،

إِنَّ الصُّبْحَ سَوْفَ يَغِيبْ . .

إِنَّ الأَرْضَ سَوْفَ تَنَامُ أَعْواماً طَوِيلَهْ . .

سَيُصيبُها عُقْمٌ طَوِيلْ

الضابط : (يَخْطِفُ العُلْبَةَ الصَّغِيرَةَ مِنْهَا) وَما هَذَا . . ؟

سعاد : ثَوْبُ زِفَافِي . .

الضابط : دَعِينِي أراهْ . .

سلام : (يَصِيحُ مِنْ بِعيد) : أَرْجُوكَ يا وَلَدِي . .

دَعْ ثَوْبَهَا . . إِنْ مَسَّهُ أَحدٌ تُجَنْ . .

دَعْ ثَوْبَهَا . . إِياكَ يا وَلَدى وَهَذَا الثَّوْب . .

الضابط : (يَفْتَح العُلْبَةَ بالقُوةِ ويُلْقِى بالثَّوْبِ القدِيمِ عَلَى الأَرْضِ) . .

سعاد : (تُلْقى بِنَفْسِهَا عَلَى الثَّوْبِ وَهِىَ تَصيحْ) :

عدنانُ يَسْكُنُ بَيْنَ هَذَا الثَّوْبِ . . هذَا بَيْتُهُ . .
هُوَ بَيْتُنَا

(تَدُورُ سُعَادُ حَوْلَ نَفْسِهَا) :

أَتَى عدنانُ يَوْمَ العُرْسِ عِنْدَ الفَجْرِ عَانَقَنِى وَقَبَّلَ جَبْهَتِى
وَقَالَ أَتيْتُ بَعْدَ الصَّبرِ والأَحْزانِ والوَحْشهْ . .
أَتَى عدنانُ كالبُرْكَانِ يَصْرُخُ فِى ضَمَائِرِنَا . .
فَأيقَظَنَا . .
وآهٍ مِنْكَ يا عدنانْ . .
عَلَّمْتَنَا نُطقَ الكَلاَمْ . .
وتركْتَنَا للصَّمْتِ والأشباحِ . . والدُّنيا حُطامْ . .
قَدْ كَانَ آخِرَ عَهْدِنا . .
قَبَّلْتُه فى وجْنتيْه . . ووضَعْتُ ثَوْبَ زِفافِنَا فى راحَتَيْهِ فقَبَّلَهْ . .

مِنْ يَوْمِهَا وأَنَا أَشُمُّ عَبِيرَ عدنانَ بِهَذَا الثَّوْبِ صُبْحاً
لَا يَغِيبْ . .

الضابط : (يُمسِكُ بجِهَازِ الأَسِلْكِى) :
الضابط : هاتِ القيادهْ . . حوِّل . .
الضابط : يا سيِّدِى . . عدنانُ عَادْ . .
الـــرد : مَنْ قَالَ هَذَا . . ؟

الضابط : الناسُ فِى كُلِّ الشوارعِ يُقْسِمُونَ بأَنَّ عدنانَ
يَطُوفُ الآنَ فِى كُلِّ المدِينهْ
وَسُعَادُ تَعْرِفُ كُلَّ شَىْءٍ عَنْهُ . .

الـــرد : اقْبِضْ عَلَيْهَا الآنْ . .
الضابط : هُنَاكَ شِبْهُ مُظَاهَرَةْ . . عَدَدٌ كبيرْ . .
الـــرد : اقْبِضْ عَلَيْهِمْ كُلِّهُمْ . .
الضابط : يَاسَيدِى عَدَدٌ كَبِيرْ . .
الـــرد : اقْبِضْ عَلَيْهِمْ . .
الضابط : لا إِذْنَ عَنْدِى سَيِّدِى لا أَستَطِيعْ . .
لَابُدَّ مِنْ إِذْنِ النيابهْ . .

الـــرد : (ضَاحِكاً) إذْنُ النيابةِ يا غَبى . . ؟
اقْبِضْ عَلَيْهِمْ كُلِّهمْ ، طِبْقاً لقَانُونِ الطوارِىءْ
يَا غَبِىّ . .

« إظـــلام »

الفصل الرابع

(الحجاجُ فى مكتبه يَجْلِسُ مَعَ مُمَثِّلِى الشعْب : علاء الدين . . وحسب الله ورفيق الأنس) .

الحجاج : أَتَيْتُ بِكُمْ لأسْمَعَكُمْ . . تُرىَ مَاذَا سَنفْعَلْ ؟

خَبرِّونِى . .

كِتَابُ اللّهِ قانونُ العدالهْ . .

حسب الله : نَعَمْ مَوْلاَىَ تَحْكُمُ بالكتَابْ . .

لا حُكْمَ إلاَّ لِلجُمُوعِ الكادِحهْ . .

لا حُكْمَ إلاّ لِلْحَيَارَى الجائعينْ

الحجاج : وَمَنْ سَيُطَبِّقُ هذِى الشرائِعْ . . ؟

عَلَى مَنْ تُطبَّقْ . . ؟

وكيْفَ سنختارُ مَنْ يَحْكُمونْ . . ؟

علاء الدين : نَحْنُ يامَوْلاى . .

حسب الله : إذَا سَرِقَ اللِّصُّ بَعْضَ القُرُوشِ تَكُونُ الشرِيعهْ
وإنْ أَكَلَ الحُوتُ دَمَ الشعُوبِ . .تَغِيبُ الشرِيعهْ . .

رفيق الانس : (متحفزاً) : ماذَا تَقْصِدُ بالحيتانْ . . ؟

علاء الدين : لُصوصُ الشعبْ . .

الحجاج : نحْنُ قَدْ جِئْنَا لنحْمِىَ العَدْلَ فى هذَا الوطنْ . .

رفيق الانس : موْلاى . . أنْتَ العَدلُ . . أَنْتَ الزُّهْدُ . . أَنْتَ
الأَمْنُ فِينَا والأمانْ .

هِىَ دَوْلَةُ الإيمانِ يامَوْلاىَ حقّاً والأَمانْ . .

علاء الدين : لا شَىْءَ يامَوْلاَىَ يُصْلِحُنا سِوَى حُكْمِ
الشريعةِ . . دينِنَا
اقْطَعْ رُءوسَ الظُلْمِ فى هذَا الوطنْ . .
البَعْضُ يا مَولاىَ تَاجَرَ باسْمِ جُوعِ الكادحِينْ .
والبعْضُ تَاجَر باسْمِ صَوْتِ الجائعينْ . .
الكُلُّ يامَوْلاى تَاجَرْ . .

حسب الله : والبَعْضُ يامَوْلاىَ باسْمِ الدِّينِ تَاجِرْ

الحجاج : أرْجُوكُمْ لا تَخْتَلِفُوا . .

حسب الله : يَمِينٌ عَفِنْ . .

علاء الدين : يسار عميل

الحجاج : هذا سفه . . ما هَذَا . . ؟

لَا تُشْعِرُونِي أنـنى أَخْطَأْتُ حِينَ أَتَيْتُ أَسْأَلُكُمْ ،

وأَسْمَعُ رَأْيَكُمْ

لَا تُشْعرونى أنَّ شَـعبِى قَدْ أَساءَ الاختيارْ

رفيق الانس : مولَاى لا نَبْغى اليمينَ وَلا اليَسَارْ . .

مولَاى أنْتَ الحقُّ فِى هذا الوطنْ . .

الحجاج : إنِّى أُرِيدُ الآنَ خطاً واضحاً . .

نَحْوَ اليمينِ أَوْ اليسارِ ، أَوْ الوَسَطْ . .

رفيق الأنس : خَيْرُ الأمورِ هوَ الوسطْ . .

مولَاى فلْيَحْيا الوسطْ . .

حسب الله : وأَنا اليسارُ . إنا الجِياعُ الُمتعَبُونَ الحائِرُونْ

علاء الدين : وأُنا الشَّريعةُ والعدالةُ والنَّزاهةْ . .

الحجاجُ (ثائراً) : إتفِقُوا . . فَوْراً . . اتّفِقُوا
لَا يُمْكِنُ أَنْ يُحْكَمَ شَعْبُ برجالٍ مِثْلِ
الأَطفالْ . . !

حسب اللّه : الحُكْمُ يا مَوْلَاىَ فِى رَأْيِى لِكُلٍّ الجائعينْ

علاء الدين : وأَنَاأَرَى الدِّينَ المُقدسَ عِصْمَةً للخاطِئينْ

رفيق الانس : نَحْنُ الحُكّامْ . .
لدَيْنَا اليسارُ . . لدَينَا اليمينُ . . لدَينَا الوسطْ . .
وأَنتَ الإمامْ
وأَنتَ العدالةُ للجائعينْ . .
وأَنْتَ الهِدايَةُ للمؤمنينْ . .
وأَنْتَ الزعِيمْ وأنْتَ الأمِينْ . .

الحجاج : (فى غَضَبٍ وخُبْثٍ)
أُرِيدُ اتِّفاقاٍ على أىِّ شَىْءٍ . . عَلى أىِّ شَىْءٍ . .
دَعُونَا الآنَ مِنْ هَذِى المعارِكْ دَعُونَا مِنْ بَقايا
الجَهْلِ والسَّفِه القديِمْ

رفيق الانس : لا تَسْمَعِ العُمَلاءَ يا مولاىَ
(مشيراً إلَى علاءِ الدِّينْ)

هَذا عَميلٌ لليمينْ . .

(مشيراً إلى حسبَ اللَّه)

هَذا عَمِيلٌ لليسارْ . .

اسْمَعْ ضَمِيرَ الشَّعْبِ يا مَوْلاَیَ . . أَنْتَ ضَمِيرُهْ

الحجاج : أنا لاَ أُصَدِّقُ أَنْ يَكُونَ الحكْمُ للغَوْغاءِ

هَلْ هَؤُلاءِ هُمَ الرِّجالُ الأوْفِياءُ الأَنْقِياءُ . .

غَوْغَاءُ . . غَوْغَاءُ ؟

حسب اللَّه : هذا يُتَاجرُ فی دماءِ الشَّعْب . .

هَذا يُتاجِرُ فی الشُّقَقْ . .

علاء الدين : اسْأَلْ رَفِيقَ الأُنْس ِ يا مَولایَ عَنْ صَفَقاتِهِ

المَشْبُوهَهْ . .

لَحْمُ الكِلاَبِ يُباعُ فی كُلِّ المَتَاجِرِ فی المدينَةِ

كُلِّها . .

سَلْه يا مولای . . مَنْ يَسْتَوِرِدُهْ . . ؟

هَذَا يُتاجِرُ فی الحشيشْ . .

رفيق الانس : عَلاءُ الدِّينِ يا مَوْلایَ كانَ يحبُّ يوماً راقصه

(يشير إلى حسب اللّه)

هذا عميلُ الرّوسِ يا مَوْلاَى . .

الحجاج : الشَّعْبُ أَخْطَأ . .

لكنّني سأُعيدُ للشِّعْبِ الصَّوَاب

حسب اللّه : أنتُمْ رءُوسُ النَّصْبِ فى هَذا البلدْ . .

سأُحَرّكُ العُمَّالَ إنْ لَمْ تَسْتَجِيبوُا . .

علاء الدين : وَأَنَا سَأَشْعلُهَا حريقاً فى المَنَابِرِ كَىْ يَثُورَ الشعْب .

رفيق الانس : وأنَا سَأَجْمَعُ كُلَّ تُجَّارِ البلدْ . .

وسَنَهدِمُ الأسواقَ فوْقَ رءُوسَكُمْ . .

(يتشابكُونَ بالأيْدى أمامَ الحجاجِ ، وَهُمْ يَصِيحُونْ) :

علاء الدين : سَأشْعِلُهَا حَرِيقاً . .

حسب اللّه : سَأُدْخِلُكُمْ جَمِيعاً السُّجُون . .

رفيق الانس : عُمَلاَءُ يا مَوْلاىَ اقْطَعْ رَأْسَهُمْ . .

الحجاج : (رافِعاً سَيْفَهُ) سَأَحْكُمُكُمْ أنَا وَحدِى

وَلَيْسَ الدِّينُ . . لا التُّجارُ . . أَوْ حِقْدُ

الجِياعْ . .

إِنِّ سَأَحْكُمُكُمْ بِسَيْفِى . . والحِذاءْ . .

وكُلُّ ما أَحْكِى يُطَاعْ . .

عيَّنتُكُمْ وُزَراءْ . .

لا شَىْءَ بَعْدَ اليومِ يحْكُمُكُمْ سِوَى سَيْفِى . .

(الوزراء الثلاثةُ فِى صَوْتٍ واحدٍ ، والسّيْفُ عَلَى رقَابهمْ) :

مَوْلَاىَ أَمْرُكْ

اِفْعَلْ بِنَا كُلَّ الّذِى تَبْغيهْ . .

الحجاج : أَنْتُمْ رِجَالِى . .

الوزراءُ الثلاثةُ : نَعَمْ رِجَالُك دَائِماً . .

الحجاجُ : فى كُلِّ شَىْءٍ تَسْمَعُونَ أوامِرِى . .

الوزراءُ الثلاثةُ : مَوْلَاىَ تَأْمُرُنَا نُطيعْ . .

الحجاج : هَيَّا أخْرُجُوا للشَّعْبِ حَتَّى تُخْبِرُوهْ . .

(يخرجُ الوزراءُ الثلاثةُ ، وَهُمْ يَرْتدُونَ مَلَابِسَ أَنِيقَةً وساعاتٍ ذَهَبِيةً ، حيْثُ تَسْتَقْبِلُهُمْ جُموعُ الشعبِ بالهُتافاتْ)

الشعب : نُوَّابُ الشعْبِ . . أَحْبَابُ الشَّعْب . .

حسب اللّه : إخْوانِي . .

لا شَكَّ أَنْتُمْ تَعْلَمُونَ الآنَ أنَّ الشَّعْبَ يَمْضِى فى

طريقٍ شائكٍ بَيْنَ الصِّعابْ . .

أعداؤنا خلْفَ الحدُودْ . .

يَتَرَبَّصُونَ بِصَحْوَةِ الشَّعْبِ المُنَاضِلْ

والشَّعْبُ سوْفَ يَظَلُّ مَقْبَرَةَ الغُزَاهْ

لا شىْءَ غَيْرَ الحقِّ سوفَ نَمُوتُ مِنْ أَجْلِ الحقُوقِ

الغائِبهْ . .

إنَّا وَهَبْنَا العُمْرَ مِنْ أَجْلِ الكرامَةِ والشهامَةِ

والعملْ . .

فالاتحادُ هُوَ الطَّرِيقُ إلى الأمَلْ . .

أمّا النظَامُ هُوَ الطرِيقُ إلَى العملْ . .

أمّا العَملْ . . فَلاَبُدَّ أَنْ نَحْيَا جَمِيعاً للعملْ . .

يَحيا الأملْ . .

صوت : يَقُولُونَ شَيئاً غريباً عَلَيْناَ . . فَماذَا جَرَى . . ؟

صوت : كُلُّ المخابزِ أَغْلَقَتْ أَبْوابَهَا . .

هتافات : نُرِيدُ طعاماً . نُرِيدُ الطَّعامْ . .

حسب الله : هِيَ دَوْلَةٌ تَحْيَا لَكُمْ ولِأَجْلِكُمْ

يَا أَيُّهَا العُمَّالُ قُومُوا وابْعَثُوا أَمْجَادَ أُمَّتِكُمْ عَلَى هَذَا الطَّرِيقْ . .

لا وَقْتَ إلَّا لِلنِّضَالْ . .

هتافات : نُرِيدُ طَعَاماً نُرِيدُ الطَّعَامْ

حسب الله : إِنَّا عَقَدْنا العَزْمَ أَنْ نَمْضِيَ نُقَاتِلُ فارْبِطوا هَذِى البُطونْ . .

لا صَوْتَ يَعْلُو فَوْقَ صَوْتِ المعرَكَهْ . .

صوت : وأَيْنَ تِلْكَ المعركهْ . . ؟

كانَتْ مَعَارِكُهُمْ هَزائِمَ كُلُّهَا

هتافات : نُرِيدُ طعاماً . . نُرِيدُ الطَّعامْ . .

علاء الدين : وباسْمِ اللّهِ يا إِخْوانْ . .

كانَ اللّهُ حافِظَنَا وَرَاعِينَا وَمُرْشِدَنا . .

سَيَسْقُطُ كُلُّ أَعْداءِ السَّلامْ . .

إِنَّا وَهَبْنَا العُمْرَ مِنْ أَجْلِ القضيَّهْ

أَمَّا الطَّعامُ فَلاَ نُرِيدُ طعامَهُمْ
إنَّا نُرِيدُ كَرَامَةَ الإنسانِ فِي هذَا الوطنْ . .
هيَّا ارْبِطُوا هَذِى البطونْ . .
فَلْتَرْبِطُوا هَذِى البطونْ . . فَإِنَّ فِي الجوُعِ
الدَّواءْ . .

صوت : المصْنَعُ أَفْلَسْ . .

صوت : إذَا ما رَبَطْنَا بُطُونَ الكِبارْ . .
فَمَاذَا سَيَفْعَلُ أَطْفَالُنَا . . ؟

صوت : قَطَعُوا رَوَاتِبَنَا . .

علاء الدين : ولْتَحمِلُوا هَذِى الأَمَانَةَ فِي طَرِيقِ المجْدِ والأَوْطَانِ
والشَّعبِ العَظِيمْ . .
أَقُولُ لَكُمْ بأنَّ الشَّعْبَ فَوْقَ مَكَائِدِ الأعْدَاءْ . .
سَنَمُوتُ جُوعاً . .
مِنْ أجْلِ أجْيَالٍ سَتَأْتِى بَعْدَنَا . .
إنَّا سَنَبْنِى الْمُسْتحيلْ . .

صوت : مَصارِيفُ المَدَارسِ أَرْهَقَتْنِي

صـوت : امرأتي مَاتَتْ عِنْدَ الفَجْرْ

صـوت : كُلُّ الذى أَبْغيِهِ مِنْ دُنْيَاىَ غُرْفَهْ
والله لَا أَبْغِى سِوَاهَا .

رفيق الانس : إِنَّا نُقَاتِلُ فَوْقَ هَذِى الأرض مِنْ أَجْلِ الجُمُوعِ الثَّائِرهْ . .
هَذِى المعارِكُ سَوْفَ نُشْعِلُ نَارَهَا . .
هَذِى الأَمَانِى سَوْفَ تُشْرِقُ شَمْسُها . .

أمين المصرى : (رَجُلٌ عَلَى عُكَّازٍ) : حارَبْتُ فِى كُلِّ الحرُوبِ
فكيف ينسانى الوطَنْ . .
وَطَنٌ سَأَحْمِلُ اسْمَهُ عُمْرِى وَلَا أَجِدُ الوطنْ . .
كُلُّ الذى أَبْغِيهِ مِنْ وَطنِى سَكَنْ . .

رفيق الانس : الشَّعْبُ نَحْوَ المجْدِ يَمْضِى شَامِخاً لا يسْتكِينْ .
إِنَّا لَنَرْفُضُ أَنْ يُقَالَ بِأَنَّنا شَعْبٌ أَكُولْ . .
حَتَّى وَلَوْ جُعْنا سِنِينْ . ..

صـوت : ابْنِى مَرِيضٌ لا يَنَامُ وَلَمْ أَجِدْ ثَمَنَ الدَّواءْ

أمين المصرى : حارَبْتُ يا وَطَنِى لِتَبْقَى أَنْتَ . . ثُمَّ أَصِيرُ يا وَطَنِى غَرِيباً فِى شوارِعِكَ الحزينهْ .

رفيق الانس : فَلْتَحْلُمُوا بِغَدٍ جَميلٍ فِيهِ تَبْتَهِجُ الحياهْ . .

بيتٍ صغيرٍ ترقُصُ الأزْهارُ فِيهْ . .

أَطْفَالُكُمْ فِى المَهْدِ سَوْفَ يُرَتِّلُونَ قَصائِدَ

الاشْعارْ . .

لا تَحْلُمُوا باليومِ هيًّا سَاعِدُونِى أَنْ نَرَى فِى الْغَدِ

كُلَّ المستحيلْ . .

إنَّا سَنَبْنِى الْمُستَحِيلْ . .

سَنُقِيمُ فِى الأنْقاضِ بُسْتَاناً جَميلاً . .

نَبْنِى لَكُمْ وَلأجْلِكُمْ وَلِمَنْ سَيأْتِى بَعْدَكُمْ

حَجَّاجُنا . . نِعْمَ الزعيمْ . رَجَلٌ يَخَافُ اللَّهُ

فَلْتحمِلُوا مِنْهُ الأمانةَ واجْعَلُوهَا كَعْبَةً ، للثائرينْ

أمين المصرى : وطنٌ يَبِيعُ الابْنَ جَهْراً فى المزادْ . .

أَعْطَيتُ يا وطنى الدِّماءْ . .

وَبَخَلْتَ يا وَطَنى بِشَىْءٍ مِنْ تُرَابِكْ . .

مازلْتُ أسْأَلُ عَنْ مكانٍ يَحْتَوِينِى . .

آهِ ما أقْساكَ يا وَطَنِى ، ومَا أَقْسَى عذابَكْ . . !

آهِ ما أَقْسَى عَذَابَكْ . . !

هتافات : نُرِيدُ طعاماً . نُرِيدُ الطَّعامْ . .

نُوّابُ الشَّعْبِ . . أَعْدَاءُ الشَّعْب . .

خانُوا الأمانَةَ . . خانُوا الأملْ

(تتجهُ المظاهراتُ إلى الوزراءِ الثلاثةِ وتُلْقِى عليهمُ الحجارةَ والشَّعْبُ يَهْتِفُ بسُقُوطِهِمْ . . فَجْأَةً يَنْهالُ الرّصَاصُ عَلَى الشَّعْبِ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ فِي المَسْرَح ، ويَدْخُلُ رجَالُ الْبُوليسِ يُحاصِرُونَ الجَمَاهِيرَ بَيْنَما يَبْدُو الحجاجُ واقفاً مِنْ بَعِيدٍ يُعْطِى أوامِرَه بِضَرْبِ الشّعْبِ بالرَّصَاص) .

(تَظْهَرُ سُعَادُ فَجْأَةً وَسَطَ النَّاسِ وحَوْلَهَا الشُّرْطَةُ)

سعاد : هذا زمانُ الجَهْلِ . . والجُهَلاءِ

جَعَلَ النِّفاقَ قِلَادَةَ السُّفَهاءِ

مَنْ يَشْتَرِى مِنْكُمْ فَفِى الأسْواقِ آلافُ الضمائِرِ فى المزادِ . . ؟

هَا هُنَا الأعْمارُ . . والأوْطَانُ . . والإنْسانُ أرْخَصُ مَا يُبَاعْ . .

غناء : كانَ لى وطنٌ وكنتُ أراهُ يكبرُ فى عيونى

كان لى وطنٌ . . قضيتُ العمر

احملهُ وساماً فى جبينى

باعنى وطنى غدوتُ الان اسألُ

عن مكانٍ يحتوينى

كلُ أحلامى سرابُ فى سرابْ

زمنْ يعلمنا الأسى . . زمنْ يعلمنا العذابْ

« إظلام »

الفصل الخامس

(يَدْخُل رِجالُ الشرْطَةِ ومعهُمْ سعادُ . . والحجاجُ جَالِسٌ مَع وزرائهِ وأعوانهِ فى مَكْتَبِه)

(الحجاجُ ينظرُ إليهم متعجباً ، ويُحاوِلُ أَنْ يتفحصَ وجهَ سعاد وَهِىَ تَبْتَسِمُ)

الحجاج : سعادُ . . (متراجِعاً . . يَسْأَلُ الظَّابِطَ) : ماذَا هُناك . . ؟

الضابط : وجدناهَا تقودُ الشَّعْبَ تدْعُو النَّاسَ لِلثوْرَة

الحجاج : وأيْنَ وجدْتمُوهَا . . ؟

الضابط : عِنْدَ المَيْدانِ الأَكْبَرْ . .

أَفْرَجْنَا عَنْها يَامَوْلاَىَ وَعادَتْ تَدْعُو للعِصْيانْ

الحجاج : شىءٌ غريبٌ ما أَرَى . . هيَّا اتْركُونَا وحْدَنَا . .

(يَخْرُجُ الوزراءُ ورجالُ الشرطةِ وكلُّ حاشيةِ الحجاجِ وَلاَ يَبْقَى معهُ إلاَّ سعادُ) .

الحجاج : (يَقْتَرِبُ مِنْهَا) : أهْلاً سُعادْ . . مِنْ أَيْنَ جِئْتِ الآنَ . . ؟ كَيْفَ رَجَعْتِ . . ؟ ياوَيْحَ الزَّمانِ وَما فَعلْ . . !

العُمْرُ يرْحَلُ والسنينُ تَدورُ مِنْ خَلْفِ السنينْ . .

لا نَدْرِى كَمْ منها عَبَرْ . . لاَ نَدْرِى مَاذَا قَدْ تبقَّى

هَاهِى الأيامُ تَمْضِى كَالقِطَارِ ، وليْسَ يُوقِفُها أحَدْ

مازِلتُ أَعْرِفُ أنَّ فِى الأعْماقِ جُرْحاً لَمْ يزلْ بيْنِى وبيْنَكْ

والجُرْحُ تُشْفِيهِ السنينْ . .

أنا لا أرِيدُ الآن أَنْ أُحْيِى زَماناً قَدْ مَضَى . .

لكنّنِى واللّهِ أُقْسِمُ أنَّ حُبَّكِ ما خَبَا فِى القلْبِ يوماً

قَدْ عَاشَ حُبُّكِ فِى دَمِى . . سافرْتُ فِى الدنْيا

بلاداً خَلْفَها تجْرِى بِلادْ . . وعرَفتُ أوْطاناً . .

وأزْمَاناً وتيجاناً . . وهَزَمْتُ كلَّ الأرْضِ لكنىِّ
هُزِمْتُ عَلَى رِحَابِكْ
وفَتحْتُ أبْواباً وأبْواباً ، ولكنىِّ رَكَعْتُ أَمامَ
بَابِكْ . .
أنا ما نَسِيتُ عَبِيرَ وجْهِكِ فى يَدى
أنا ما نَسِيتُ صَفاءَ عُمْرى فى أغانيكِ القديمهْ
لَمْ أَنْسَ أنّكِ كُنتِ فِى عُمْرِى زمانَ الطُّهْرِ
والإيمانِ والعفّهْ . .

سعاد : أحياناً . . نَتَخيَّلُ أَنَّ العُمرَ سَيُدْفَنُ فِينَا
حِينَ يَموتُ الحبُّ وَليداً . .
نَشْعُر أنَّ الكوْنَ تَغَيَّرَ . . أَصْبحَ شَبَحاً . .
صَارَ الصُّبْحُ سَحابَةَ لَيْلٍ فِى الاعْماقْ
صارَ الحُلْمُ بَرِيقاً يَسْقُطُ مِنّا ثُمَّ يَضِيعْ
نتخيَّلُ أنَّ الزَّمنَ توقَّفَ فجْأةْ
أنَّ النَّبضَ تَعثَّرَ فِينَا . .
نَحْمِلُ حُزنَ الأرضِ تِلالاً . .
يَمْضِى الزَّمَنُ العَاقُّ ونُدْرِكُ أنَّ الحُبَّ

سَحابةُ صيْفٍ عَبرَتْ يوماً . . صارتْ ذِكْرى . .
تبدُو حِيناً . . تَخْبو حِيناً . .
ونَظلُّ نَعِيشُ عَلَى الذِّكْرىَ . .

الحجاج : ما زِلْتُ أذْكُرُ عِنْدَما كُنَّا صِغاراً
عِنْدما كانَتْ عُيُونُكِ مِثْلَ نَهْرِ النِيّلِ
يُغْرِقُنِى يُطَهِّرُنِى ويَحْمِلُنِى بعيداً خلْفَ جُدْرانِ
الحياهْ . .
مازِلْتُ أَذْكُرُ عندمَا كانَتْ ثِيابُكِ تَحْتَوِينى
فِى ظلام ِ العُمْرِ . . أَشْعُرُ أنَّها وطَنِى ومِئْذَنَتِى
وسَيْفِى وانْطِلاَقِى
كَمْ كُنتُ أَشْعُرُ أنَّ حُبَّكِ فِى ضميرِى
بَعْضُ إِيمانِى وسُخْطِى . . بَعْضُ دِينى . .
بَعْضُ أَرْضِى . . بَعْضُ عِرْضِى . .
أيْقنْتُ يوماً أننِى جئتُ الحياةَ لِكىْ أُحبَّكِ أَنْتِ مِنْ
دونِ البَشرْ
أُعْطِيكِ هذا العُمرَ . .

سعاد : وماذَا فَعلْتَ بِعُمْرِك هَذا ؟

وَمَاذَا فَعلْتَ بِحُبِّكَ هَذَا ؟

حُطامُ الليالِى على راحَتَيْكَ . .

الحجاج : ما زِلْتِ فى الأعْماقِ قِبْلتِى القديمَهْ

سعاد : قد كنتُ يوماً قِبْلَتَكْ . .

والآن صِرْتُ خطِيئَتَكْ . .

الحجاج : أنا لَمْ أزَلْ أجِدُ الزَّمانَ لَديْكِ شيئاً غيرَ كلِّ الأزمِنهْ

فالماءُ فى عيْنَيْكِ شىءٌ غيرُ ما حَمَلتْ مِياهُ

الأرضِ والأنهارْ

الفرْحُ بينَ يديْكِ شىءٌ

غيرُ ما عرَفَتْ سنِيُّ العُمْرِ مِنْ فرْحٍ وأشْواقٍ

ونَجْوَى

لَمْ تتْرُكى بينِى وبينَكِ أىَّ خيْطٍ مِنْ أملْ

فلَرُبَّما نهْفُو لِعُمْرٍ بيننَا

ولَرُبَّما نشْتاقُ أوْ تَنْسابُ بينَ عُروقِنَا ذِكْرى فتَبعَثُها

السنِينْ . .

كَمْ مِنْ وُجوهٍ عابراتٍ قد نراهَا فِى الحَياهْ . .

نَنْسَ الوجُوهَ جميعَهَا . . ويظَلُّ وجْهٌ واحِد بينَ

الضُّلُوعِ . . نراهُ فِي كُلِّ الوُجُوهْ

كلُّ الوُجوهِ تكَسَّرتْ فِي العينِ أَوْ رحَلَتْ وكفَّنَهَا

الزّمنْ

لكِنَّ وجْهَكِ كانَ أكبرَ مِنْ تبارِيحِ الزّمنْ .

سعاد : دَعْنَا مِنْ الماضِى البعِيدْ

أَرْجوكَ يا حجاجُ لا تَنْكأْ جِراحَ الأمْسِ

دعْها . إِنَّها رَحلَتْ . . وتاهَتْ فِي السنينْ . .

إنــى نَسيتُ الأمْس . .

الحجاج : ما زالَ حيًّا بينَ أعْماقِى ولَنْ أنساهْ . .

سعاد : قَدْ ماتَ فِي قلْبِى وأسْدَلْتُ السِّتارْ

أَنا لا أَحِنُّ إِلَى المقابِرْ . . فالعُمرُ والأَحْلامُ

والذِّكرَى هُنَاكْ

الحجاج : نُعاتِبْ . . ؟ قُولِي . .

سعاد : وماذَا تُفِيدُ حَكايَا العِتابْ ؟

الحجاج : واللّهِ ما أحْببتُ غيرَكِ يا سعادْ . .

سعاد ماذا يُفِيدُكَ أنْ عشِقْتَ الناسَ أو أحببتنى وكرِهْتَ

نَفْسَكْ ؟

الحجاج : لكنّني أهواكِ أنتِ وربِّ هذِى الكعبهْ . .

سعاد : ولِذا هدَمْتَ سِتارَها . . وشرِبْتَ يا حجاجُ دمَ المسلمينْ !

الحجاج : حتّى أُطَهِّرَها . . أُطهرَهَمْ . .

سعاد : الطُّهْرُ لا يأتِى على أَيدِى الخَطيئهْ

الحجاج : الطهرُ يبدأُ بالخطيئهْ . .

هل يموتُ الحبْ . . ؟

سعاد : منْ ذاقَ طَعمَ الدّمِ لا يُغريهِ طعمُ الحبْ

فالحبُّ يَغْرَقُ فِى بِحارِ الدمْ . .

الحبُ شىءٌ . . والدمُ شىءٌ . .

الحجاج : (ثائراً) أنتِ السببْ . .

سعاد : لَا وقْتَ عِندى ِ للحسابِ أوْ العِتابْ

أنا لا أظنُّ بأنَّ عندِى الآنَ شيئاً تَشْتَهِيهْ

لا قلبَ . . لا إِحْساسَ . . لا وجهاً جميلاً كُنْتَ يوماً تَشتَهيهْ . .

ولّى الشبابُ وضاعَ فى أَحزانِنَا . .

هَلْ جِئتَ يا حجاجُ تسْخَرُ مِنْ بَقايَا . . ؟

لَمْ يبْقَ منِّى غيرُ أَطْلالِ امرأةْ . .
لا شىءَ عندِى غيرُ حُزنِى . . والحُزنُ شىءٌ
لا يُحَبُّ . . ولا يُطاقْ

الحجاج : (ثائراً) أنتِ التى فضّلْتِ عدنانَ علىّ
وأنَا الذِى أحبَبْتُ فيكِ خطيئَتِى وطَهارتِى وسنِينَ
عُمْرى . .

سعاد : أرجوكَ لا تَنْبِشْ جِراحَ الأمْس . .
(تُكلِّم نَفْسَهَا) : مازِلْتَ يا عدنانُ ضوْءاً لا يُفارِقُنِى
قَدْ كنتَ مُؤْنِسَ وَحْدَتِى . . ورفيقَ دَرْبِى
قَدْ كنتَ يا حجّاجُ . . يا عدنانُ . . يا حجاجُ . .
أوَّلَ غِنْوةٍ طاقت علَى قلبِى الصغيرْ . .

قد كُنتَ أَولَ فرحةٍ تنسابُ فِى الأعماقِ تسْرِى
كالغَديرْ . .
قد كُنتَ أولَ بَسْمةٍ دارتْ على وجْهِى وطافَتْ
كالربيعْ
قد كُنتَ آخِرَ فرْحتِى . . عدنانُ آخِرُ فرحتِى . .

آهِ يا عدنانُ يا حجاجُ . . يا عدنانُ . .

(تفيقُ سعاد فجأةً لترى الحجاجَ واقفاً أمامهَا فى غضبْ) .

الحجاج : **(ثائرا) أنا الحجاجُ ياحَمْقاءُ** . . عدنانُ ماتْ . .

سعاد عدنانُ ضَوْءُ الصُّبْحِ فِى عيْنِى ولمْ ألمحْ سِواهْ . .
عَدْنَانُ أكبرُ من سِنينِ العمرْ

الحجاج : عدنانُ احْقرُ مَنْ رأيتْ . .

سعاد : عدْنانُ لمْ يشرَبْ دِماءَ الابْرياءْ . .
أنا لمْ أقُلْ أسْكرُ بدمِ الناسْ

الحجاج : وسكرْتِ وَحْدَكِ مِنْ دمائِى . .

سعاد : ماكان لِى قَلْبانْ . . ما زال عُمْرى كُلُّه عدنان . .

الحجاج : لا تَذْكُرِى عدنانَ عندِى . .

سعاد : هَلْ غابَ يا حجاجُ حَتَّى أذكُرَهْ . . ؟ !

الحجاج : لا يَستحِقُّ الذِّكْرَ حَتَّى نذْكرَهْ . .

سعاد : كلُّ الأشياءِ إذا غابتْ يَذْكُرها الناسْ
لكنْ خبِّرْنِى ياحَجّاجْ . . هل اذْكرُ نفْسِى . ؟

هل غابتْ نفسِى عنْ نفسِى ؟

هل أقْطعُ جلدِى مِنْ جلْدِى ؟

هل أفْصِلُ قلبِى عَنْ قلبِى ؟

هذا عَدنانْ

هُوَ بعْضِى يحيَا فِى بعْضِى

هُوَ عُمْرِى يَسرِى فِى عمرِى

الحجاج : (يحدثُ نَفْسَهُ) : إنى كرِهْتُكِ حينَما أَحْببتِ هذَا

الخائِنَ الْمَلْعونْ

شىءٌ جميلٌ أَنْ أُحِبَّ الناسَ فِى فردٍ . .

شىءٌ ثقيلٌ أَنْ كرِهْتُ الناسَ فِى فردٍ . .

وأَنا كرِهْتُ الناسَ فِى عدنانْ

سعاد : وأَنا أحِبُّ الناسَ فيهْ . .

الحجاج : فضَّلْتِهِ يومًا علىَّ . .

وتركْتِ جُرْحاً بينَ أعماقِى . . لو أنَّنايوماً تلاقيْنَا

لَتَغيرَتْ كلُّ الحياهْ . .

ما كنتُ أحْمِلُ كلَّ هذا الحِقدْ . .

ما عِشْتُ أحمِلُ كلَّ هذا الجُرْحْ . .
والجُرْحُ أولُ ما يُعَلِّمُنا الدماءْ . .

سعاد : قدْ كانَ جُرْحُكَ كيفَ ترفُضُكَ امرأةْ . . ؟!
أصْبحْتَ تَمْلِكُ كُلَّ شىءٍ فى الحياةِ . . فكيفَ
تَعْصيكَ امرأةَ . . ؟
فلَقد ملكْتَ الأرْضَ أمْوالاً وأوطاناً ولَمْ تَقدِرْ عَلَى
قلبِ امرأةْ . .
قدْ تُصْبحُ الأوطانُ مِلْكَ الحاكِمينْ . . لكنَّ قلْبِى
ليسَ يَمْلِكُهُ أحَدْ . .
مَنْ قالَ إنّ القلْبَ يا حجاج مثلُ الطِّينْ . . ؟

الحجاج : (يَقْتربُ مِنْهَا) : واللّهِ ما أَحْبَبْتُ غيرَكِ فى
حياتِى
قدْ عِشْتُ أَحلُمُ أنْ أراكِ رفيقَتِى وضِياءَ عُمْرى . .

سعاد : انْظُرْ لِشَعْرِكَ . . أُنْظرْ لأشْباح السنين تطِلُّ مِنْ
عينيْكْ
انظرْ إلى نهرِ الدّماءِ يَسيلُ مِنْ شفَتيْكْ

انظرْ إلى كفيْكَ يا حجاج

ستِرى دماءَ الأبرياءِ تَئِنُّ بينَ يديْكْ

الحجاج : كلُّ السنينَ تغيرَتْ وتَبدَّلَتْ . .

وبقيتِ وحْدَكِ دونَ كلِّ الناسِ صخْراً لم تُغيِّرْكِ السنينْ

مازلْتِ أقْسَى مَنْ رأَتْ عيناى

ما كُنتُ أعْلَمُ أنَّ بينَ الناسِ أَحْجاراً نُسمِّيهَا . . بَشرْ . .

سعاد : (تُحدِّثُ نَفْسَها) :

ما زِلتُ أَذكُرُ عندما جاءتْ خُيولُ الليلِ تُطفِىءُ كلَّ شىءٍ فِى المدينهْ

ورأيتُ أَشباحَ الظلامِ تُطِلُّ مِنْ خلْفِ الأُفقْ

قدْ كانَ عُرْسِى يومَهَا . . داستْ خُيولُ الليلِ فوقَ الناسِ . . فوقَ الضّوْءِ . . فوقَ ثِيابِ عُرْسِى . .

أَترُاكَ تعرفُ ما الذِى يَعْنيهِ ثوبُ العُرسِ فى عمرِ امرأة . . ؟!

أتراكَ تعْرفُ ما الذِى يَعْنيهِ يومُ البعْثِ فى تاريخِ
أُمَّةْ . . ؟
شىءٌ قليلٌ فِى حياةِ المرْءِ ساعاتُ الفرَحْ
شىءٌ قليلٌ فى حياةِ الناسِ يومُ قد تُعانِقُهُ
ابتسامهْ . .
مزَّقْتَ ثوبَ العُرْسِ يا حجاجْ . .
مِنْ يوْمِها وأنَا أُلَـمْلِمُ ثوبَ عُرْسِى رغمَ هذا الطِّينْ
وإذا نسِيتُ العُرسَ يا حجاجُ خبِّرنِى بربِّكْ :
كيفَ أمْسحُ كلَّ هذَا الطينْ . . ؟
(تُلقِى أمامهُ بثوْبِ زِفافِهَا مُلَطَّخاً بالطين) .

الحجاج : لَنْ أسْتريحَ وَطيْفُ عدنانَ يدورُ علَى المدينهْ
لنْ أستريحَ وطيْفُ هذَا العابثِ الـمُخْتالِ يسكنُ
فى قُلوبِ الناسْ ينْبِضُ فى الضّلُوعِ ولا يموتْ . .
لِمَ لا يموتْ . . ؟
(يكلِّم نفسهُ) : وأنَا . . لماذَا لا أُحِبْ . . ؟
أعطيْتُ هذِى الأرضَ عمرِى

أَعطيتُهَا قلبِى . . شبابِ . . قوَّتِى . .

لِمَ لا تُحبُّ الأرضُ مَنْ يعطى

الأرضُ تُعطى السارقين

ولاَ تجودُ عَلَى الحيارَى الثائرينْ . .

أنا عاشِقٌ للأرضِ . . أَعشَقُ كلَّ ما فِيهَا . .

سعاد : الأرضُ لا تُعْطِى الذى شربَ الدماءَ وذاقَ لحْمَ

الناس فى كلِّ الموائدْ . .

أَنَا لا أُصدِّقُ أَنْ أَرَى فِى الزُّهرةِ البَيْضَاءِبعضَ

نِقاطِ دمْ

أَنَا لا أُصدِّقُ أَنْ أَرَى فى ثوْبِ عُرسٍ خِنْجراً

أنا لا أصدِّقُ أنْ أرىَ خلْفُ الـمَنابِر حانةً وكئوسَ

خمْرٍ . .

الطهرُ يَا حجاجُ طُهرٌ . . والعُهْرُ يَا حجاجُ

عُهْرٌ . .

يا حجاجُ أنتَ الدَّمُ . . أنْتَ الخِنْجَرُ

المسموم . . أنْتَ المِقْصَلْه . .

الحجاج : أنا حاكِمٌ حرَّرْتُ هذِى الأرضَ مِنْ بطْشٍ

العدوْ .

أعْطيْتُها اسماً . . ولوْناً . . وابتسامهْ . .

ومَنحْتُها أمَلاً . . أعدْتُ لها الكَرامهْ . .

سعاد : وسجنْتَها . .

الحجاج : السَّجْنُ أفضلُ مِنْ سُيوفِ القهرِ والأعْداءْ . .

لا مانِع عِنْدِى . .

أَنْ أقتلَ فرداً كَىْ أُحْيى أمَّهْ . .

سعاد : لماذا القتلُ يا حجاجُ . . ؟

الحجاج : الدَّمُ مِثْلُ الماءِ . .

حيناً يُطَهرُنَا . . وحيناً نشربُهْ

سعاد : مَنْ قالَ إنْ الدمَ يا حجاجُ طُهْرٌ . ؟

الحجاج : يَحقُّ القتلُ إنْ كانَ القِصاصُ قِصاصَ أُمَّهْ . .

سعاد : ومَنْ أَعْطاكَ حَقَّ القتلْ ؟

الحجاج : شعْبِى . .

سعاد : الشعْبُ قدْ أعطاكَ هذَا السيفَ كىْ تَحمِى

تُرابَهْ . .

لَمْ يُعْطِ هذا السيفَ كيْ تُدْمِى رِقابَهْ . .

الحجاج : لِكَىْ احْمِى الرِّقَابَ من الرقابْ .

سعاد : تَحْمِى الرقابَ مِنَ العدُوْ .

الحجاج : عدُوِّى مَنْ يُعارِضُنِى . .

أحياناً . . يقسُو الأبُ علَى الأبناءِ . .

كىْ يَصْنعَ رجُلاً

أحياناً . . يقسُوا الحاكِمُ . . يَهدِمُ بيتاً ، يَقتُلُ

فرْداً . لِكَىْ يَصْنعَ شَعباً . .

إنِى أُبِيحُ القتلَ من أجْلِ الحياةْ . .

سعاد : الشعْبُ يا حَجّاجُ جاع . . الشعبُ ضاع

الحجاج : إنَّا نُحارِبُ يا امرأةْ

سعاد : تُحارِبُ شعْبَكْ .

الحجاج : أُحارِبُ أعْداءَ هذَا الوطنْ . .

سعاد : حاربْتَ مَنْ ؟ . . لَقدْ اسْتبحْتَ الأرضَ أعراضاً
وأموالاً ودِينا . .

الحجاج : حاربْتُ كَىْ يبقَى نداءُ اللّهِ فوقَ مآذِنِهْ
والشعبُ وَلأنِى وتلْكَ قَضِيَّتِى

سعاد : متَى ولَّاكَ هذَا الشعبْ . . ؟

الحجاج : أتُرَى سمِعْتِ هُتافَهُ

وسْطَ المزارعِ والحُقولِ وفوْقَ جُدْرانِ

المنازِلْ . . ؟

أَتُرى رأيْتِ غِناءَهُ وصِياحَهُ

والفرْحَةَ الكُبرَى عَلَى كلِّ الوجوْه . . ؟

هَذَا قرارٌ بِالوِلايهْ . .

سعاد : عارٌ عليكَ بِأنْ تُوَلَّى بالهُتافْ

وخلْفَ ظَهْرِ النَّاسِ تستَتِرُ الخَنَاجِرْ !

فرْقٌ كبيرٌ بينَ حُكْمٍ بالرَّصاصْ

وبينَ حُكْمٍ بالمشاعِرْ .

فرْقٌ كبيرٌ بين حُبِّ الناسِ يا حجاجْ

والقَهرِ المعَربدِ فى الخَناجرْ

الحجاج : (ثائراً) : لَنْ يَسْتريحَ القلبُ فى جَنْبِى وأنتِ أمامَ

عينِى

عدنانُ ماتْ . . وبقِيتِ أنتِ خطيئتَهْ . .

سعاد : عدنانُ يا حجاجُ حىٌّ لَمْ يَمُتْ . .

عدنانُ حيٌّ لَمْ يمُتْ .

(الحجاجُ يدورُ ويصرخُ : علاءَ الدين . .
رفيقَ الأُنس . . حسب اللّه)

(يدخل الثلاثةُ . . بينما سعادُ تقِفُ فِي جانبٍ
مِنَ المسرح)

الحجاج : هيًّا وطوفوًا فى المدينةِ كُلِّها
للبحْثِ عَنْ عدْنانَ فى كِلِّ الأمَاكِنِ
فى الحُقولِ وفى المصانِعْ . . فى المزارعِ
فى المساجدِ . . فى بيوتِ السوءِ . . عندَ
الأولياءْ . .
والبحْثُ عنْ عَدْنانَ عِندَ منابعِ الأنهارِ فى
الصَّحراءِ . عدنانُ يَسكنُ فِي الشواطىءْ رُبّما
وسْط القُرَى . بينَ المزارعِ فوقَ أشجارِ
النخَّيلْ . .
أَوْ رُبمًّا يَنْسابُ بين النَّاسِ كالطوفانِ مِثْلَ
النيلْ . .
فى كلِّ شيْءٍ فَتِّشوًا . . إنِّى أُريدُ الآنَ رأسَهْ . .

إنىِّ أُرِيدُ الآنَ رأسَهْ .

حسب اللّه : عدنانُ هذا قصةٌ مجهولةُ الاطْوارِ يا مولاىَ

لا ندْرى أكانَ حقيقةً أَمْ كانَ وهماً

لا ندرِى يَا مولاىَ هَلْ عدنانُ هذَا مِثلُ كلِّ الناسِ

عاشَ على الحياةِ وماتَ . . أَمْ شىءٌ غريبٌ لَمْ

نرَهْ . . ؟

الحجاج (يكلِّم نَفْسه) : قد عاشَ فِى عينِى ولَمْ أَلْمَحْهُ

يوماً . .

إنىِّ أراهُ ولا أراهْ . .

عدنانُ هذَا لَنْ يعيشْ . .

يقول للوزراء : إن كانَ ماتَ فأخْرِجُوهُ مِنَ المقابرِ واحْرِقوهْ . .

إنْ كانَ سِرًّا فى ضميرِ الناسِ هيًّا . . واكْشِفُوهْ

إن لاحَ فى وسَطِ المساجدِ خلْفَ صيْحاتِ المنابرِ

احْرِقوهَا . . واصْلُبوهْ . .

لا ترْحَمُوه . . لاترحَمُوهْ . .

سعاد : عدنانُ يا حجاجُ أكبرُ مِنْ سجونِ الأرضِ بينَ

يديْك . .

هُوَ لَمْ يزلْ يَنسابُ بينَ الناسِ ايماناً وطُهراً لَنْ يغيْب .

عدنانُ يَجْرِى فى مياهِ النهرِ فِى صوْتِ المنابرِ فى دُعاءِ الأم فِى صوْتِ العصافيرِ الحزينهْ . .

عدنانُ يحيَا فى ظلال الحُلْمِ فِى عشْبِ الصَّحارِى .

فِى دماءِ الكعبةِ الثَّكْلَى وخلْفَ ندائِها الواهِى الحزينْ . .

رفيق الأنس : عدنانُ يا مولاىَ هذا كارِثهْ
سُمٌّ سرىَ بينَ العُقولِ ولمْ يزلْ . .
والناسُ لا تنساهْ . .

الحجاج : عدنانُ أكبرُ لعْنةٍ ظهرَتْ علَى هذَا الوطنْ . .

سعاد : ما أكْثرَ الأمْواتَ فيكُمْ إنمَا الأحياءُ قِلَّهْ . .

رفيق الأنس : النَّاسُ يا مولاىَ بعدَ اللّهِ تعْبدَ طلْعتَكْ . .

علاء الدين : الناسُ لَمْ تَعشَقْ ولَنْ تهْوَى سوى مولاىْ

سعاد (تصرخُ فيهمْ) ؛ عدْنانُ حَيٌّ إنَّما الحجاجُ ماتْ

الحجاج (ثائراً) : هيَّا اقتلُوها . .

(يدخلُ فى هذه اللحظة الشيخ سلَّام وخلفَهُ جمعٌ كبيرٌ من النَّاس)

سلام : لا تُقْتلْهَا يا حجاجْ . .

الحجاج : هيَّا اقتلُوها . . (يتجهُ حراسهُ إليها بسيوفهمْ)

سأقتلُها أنَا . . (يتجهُ الحجاجُ إليها بسيفِهْ)

علاء الدين (ممْسِكاً بالحجاجِ) : مولاىَ سيفُكَ لا تُدَنِّسُهُ

إمرأهْ

دَعْهَا لَنَا . .

سلام : حجاجُ لا تقتل وليداً فى رحمْ

الحجاج : ماذَا . . وليدٌ فى رحمْ . . ؟

سلام : فلْنتنتظرْ حتًى تلِدْ . .

الحجاج : متَى حَمَلَتْ . . ؟

سلام : يقُولُون منذُ سنينَ طويلهْ

الحجاج : وهلْ فِى الأرضِ حَمْلٌ بالسنينِ . . ؟

وهلْ فِى الأرضِ حَمْلٌ مثلُ هذَا . . ؟

تُضَلِّلُنِى . . ؟

سلام	:	حَمْلُ غريبْ . .
علاء الدين	:	بـل إِنَّهُ حَمْلٌ مُرِيبْ
الحجاج		(يتجهُ إلى سُعاد) : بِمَّنْ حَمَلْتِ . . ؟
سعاد	:	مِنْ كلِّ شيءٍ طاهرٍ لا تعْرِفُهْ . .
الحجاج	:	ومَتى حَمَلْتِ . . ؟
سعاد	:	فِي سنِي القهْرِ والبطْشِ الطوِيلْ . .
الحجاج	:	إنْ كانَ زَوْجُكِ مات يومَ العُرْسِ كيفَ إذَنْ حملْتِ . .
سعاد	:	سوادُ الليلِ لا يَعنِي بأنَّ الصُّبحَ مَاتْ . .
الحجاج	:	ولكنِّى بنفسِى قدْ قتلْتُهْ . .
سعاد		(تصرخُ فى النَّاسِ) : هيَّا اشْهَدُوا يا ناسْ فَلْيشْهَدِ الأحْياءُ والموْتَى بأنكَ قاتِلُ عدنانُ كانَ خطيئَتَكْ . .
الحجاج		(يضعُ سيفَهُ فى رقَبَتِهَا) :بِمَّن حملْتِ . . ؟
سعاد	:	مِنْ عَدْنان .
الحجاج	:	عدنانْ . . وحَملْتِ من عدنانْ . . ؟

(يدور الحجاجُ كالمجنونِ حوْلَ نَفْسِه) :

هيّا احْمِلُوها كَيْ يَراهَا الناسُ فى كل الشوارعْ

اليومَ أُشْهِدُكُمْ بأَنَّ سعادَ تَحْمِلُ مِنْ سِفاحْ

ماذَا يقولُ الشرْعُ فِي حمْلِ السِّفاحْ ؟

ماذا يقولُ الدينُ فِي حُكْمِ الزِّنَى ؟

ماذا يقولُ الشرْعُ ؟ . ماذا يقولُ الدِّينْ ؟

إِنِى أرَى أنْ تَقْتُلُوهَا . .

علاء الدين : مولاَى لاَ تعْبأْ بِهذا . .

كلُّ الشرائعِ عِندَنَا . .

إِنْ قُلْتَ رَجْماً عندنَا . .

إِنْ قُلْتَ قتلاً عندنَا . .

إِنْ قُلْتَ سَحْلاً . . عندنَا . .

إِنْ قُلْتَ يا مولاىَ سَجَناً . . عندنا . .

إِنْ قُلْتَ تَأْكُلُهَا كِلابُ الحَىِ لحماً . . عندنَا

كلُّ الذّى تَبغِيهِ يا مولاىْ

حسب الله : فَلْتَرْجُمُوهَا الآن . .

رفيق الأنس : مولاىَ تُدْفَنُ واقِفَهْ . .

حَتَّى يراها الناسُ دَوْماً موْعِظهْ . .

علاء الدين : نَطُوفُ بها وتُسْحَلُ فِي الشوارعْ

سلام : لاتقتُلُوا ابَداً وليداً فِي رحِمْ . .

سعاد (تطوفُ على المَسْرَحِ) : لا تقتُلُوهْ . .

لا تقتُلُوا الأمَلَ الوليدَ فقدْ ظَللْتُ العمرَ أحمِلُهُ

صباحاً . .

ربَّما يَأتِي ويُشْرِقُ فِي رُبُوعِ الأرضِ بالزمَنِ

النَقِيْ .

عدنانُ ضوءٌ رُبَّما قَدْ غابَ بعضَ الوقْتِ عنّا . .

فلَقَدْ تعلّمَتِ العيونُ بأنَّ لوْنَ الليلِ أجمَلْ . . .

أن لوْنَ الدَّمِ أصْفَى . . أنّ سقْفَ السّجْنِ أعْلَى

أنَّ جوعَ الطفلِ أحْلَى أنَّ عُرْيَ الناسِ أسْمَى .

ولَرُبَّمَا سَقطَتْ علَى العينِ السجينةِ كَلُّ أنواعِ

الهمومْ . .

فلَمْ تعُدْ أَبَداً تُفَرّقُ بَيْنَ ليلٍ أوْ نهارْ . .

عدنانُ ضوءُ الصبْحِ فى أعماقِنَا لا تَدْفِنُوهْ . .

الحجاج (يكلِّم الناسَ حوْلَهُ) : يا شَعْبِيَ العِمْلاقَ قُلْ لِي : العارُ مَنْ يَرْضاهُ ؟ . . العُهْرُ مَنْ يَرْضاهْ . . ؟

الدِّينُ سيْفٌ والعدالةُ مِقْصَلهْ . .

واللّهُ شرَّعَ كُلَّ شىءٍ لِلبَشرْ . .

ماذَا يقولُ الشعبُ قولُوا ، خبِّرونِي . . أَنْتُمْ رِجالُ الشعبِ . . أنتمْ ضميرُ الشعب . . حَمَلَتْ سِفاحاً . . زَانيهْ . .

مَا رأيُكُمْ فِي ذَنْبِ أُنْثَى زانيهْ . . ؟

رجاله : تُقتَلُ فوراً يا مولاىَ . .

أصوات : تُعْدَمْ . . تُرجَمْ . . تُسْحَلْ . . تُشنَقْ . . تُسْجَنْ . .

سلام : فَلْنَنْتَظِرْ حتىَّ تَلِدْ . . فَلْنَنْتَظِرْ حتىَّ تَلِدْ . . فَلْننتَظِرْ حتىَّ تَلِدْ . .

الحجاج : فَلْتَقْتلُوها الآن . . (يتردَّدْ) . . لا بَلْ دَعُوهَا الآن .

هذا قرارٌ صعْبٌ . . لا . . اقْتُلُوهَا . .

كَانتْ يوماً . . كُنّا يوماً . .

لكِنّها حَمَلَتْ . . أحبَّتْ . .

ضاجَعَتْ . . خانَتْ . . زانيهْ . .

لا تَقْتُلوهَا . . أَجْهِضُوها أوَّلاً . . حتّىً نَرى

عدنانْ . .

سعاد : حجاجْ . .

يا صاحِبَ السيْفِ المُدَنس ِ مِنْ دِماءِ

المُسْلِمِين . . يا هادِمَ البيتِ الحرام ِ . . عليْكَ

لعْناتُ السماءْ . .

(الحجاج صائِحاً وحَوْلَهُ الوزراءُ ورجالهُ من

الشرطةِ ينقضّونَ على سُعاد بوحشيةٍ

لإجْهاضِهَا)

الحجاج : هَيا أَجْهضُوهَا كَيْ أَرَى عدنانَ فى أحشائِها . .

سعاد (تَصْرُخْ) : عدنانُ حُلْمٌ بَيْنَ أحشائِى حرامٌ أن يَموتْ

لا تَقْتُلُوا حُلْمِى . . لاتَقْتُلوا حُلْمِى لا تَقْتُلوا حُلْمِى

غنـاء أنـا الأرضُ أعـرفُ معـنـى الحياة

إذا ماتَ حلمٌ غرسـنـا سواه

ستـرحـلُ يومـاً حصـونُ الـظلام

وتبقى الشعـوبُ ويمضى الـطغـاة

« إظلام »

القسم الثانى

الفصل الأول

(يدخُل الحجـجُ ومعهُ الـوزراءُ الثلاثـةُ : حسب اللّه . . علاء الـدين . . رفيق الأنس . . منصةُ المحكمـةِ فى مكانٍ مـرتفعٍ عن المسرحِ وفى الجانبِ الآخَرِ تِقفُ سعادُ داخِلَ قفصِ الاتهامِ . . بينما يتجهُ إلى إحدى الزوايا فى المسرحِ مُمثلُ الاتّهام . . يجلسُ الحجاجُ على مِنصة المحكمةِ وعن يمينهِ الوزيرُ علاء الدين عضو اليمين . . وعن يسارهِ الوزيرُ حسب اللّه عضو اليسار . . وممثلُ الاتّهامِ الوَزيرُ رفيقُ الأُنس) .

الحجاج «يهمس للوزراء» : أعْدَدْتُم كلَّ الأشياء . . ؟

الوزراء الثلاثة : نعمْ مولاىَ أعْدَدْنَا . .

الحجاجُ : وأقوالُ الشُّهودِ . . ؟

رفِيقُ الأنسِ : حفظُوهاَ حِفْظاً يا مولاىَ .

حسب الله : حَضَروُا جميعاً واتَّفَقْنَا . .

علاء الدين : كلُّ الذّى أرجُوهُ يا مولاىَ

لا تَتْرُكْ مَجالاً للحوارِ أَوْ الكلامِ أوْ الجَدَل . .

الحجاجُ : لاوَقتَ عِنْدى للحِوار . .

فاليومَ أُنْهِى كلَّ شىءٍ . .

حسب الله : احكُمْ سريعاً . . تَنْتَهِ . .

رفيقُ الأنس : ونُنَفِّذُ فوراً يا مَوْلاى

علاء الدين : إنْ كانَ سِجْناً سَوفَ نَنْقُلُهاَ إلى سِجْنٍ بعيدٍ

لا يَراها النَّاسُ بَعْدَ اليومْ

رفيقُ الأنسِ : إنْ كان إعْداماً يُنَفَّذُ كُلُّ شَىءٍ

دوُنَ أَنْ يَدْرِى أَحَدْ . .

علاء الدين : لا تتركْها تحْكى شيئاً يا مولاى . .

رفيقُ الأنسِ : كُنْ أَنْتَ الحاكم . . والمَحْكُومْ . .

كُنْ أَنْتَ القَاضِى . . والسَجَّانْ . .

الحجاجُ : سأَفْعَلُ ما تَرَوْنَ . .

هيَّاً كَىْ نَبْدَأْ . .

الحَاجِبُ : مَحْكَمَهْ . .

المُتهمةُ سعادُ أَحْمد جَمالُ الدِّين

سعاد : نَعَمْ . .

الحاجب : حضرَتْ . .

الحجاج : الادعاءُ . . الوزِيرُ رفِيقُ الأنسِ الطوالى . .

رفيق الأنس : (يتقدَّم للمنصةِ) : ياسادتِى . . كلُّ الجرائِم قَدْ تُفَسَّرُ

قَدْ يراها النَّاسُ أوْضحَ ما تكونُ أمامَهُمْ . .

السارِقونَ . . القاتلونَ . . الهارِبونَ .

الخائنونْ . .

كُلُّ الجرائمِ عِنْدَ عُرْفِ النَّاسِ والقانونِ شىءٌ

نَعْرِفُهْ . .

فِى القتْلِ يُوجَدُ قاتلٌ . . وقَتيلْ . .

فِى النَّهْبِ يُوجَدُ سارِقٌ وضَحَايا . .

لكِنَّنا يا سادَتى

نَجِدُ الجريمةَ غيرَما اعْتدْنَا عليهِ منَ الجرائمِ عَبْرَ

آلافِ السنينْ

فأمامَنا رجُلٌ تَنكَّرَ للأمَانة والشهامةِ والضَميرْ . .
لَمْ يَقْتُلِ الأفَّاقُ فرْداً واحِداً
لكنَّهُ واللّهِ أفْسدَ أُمَّةً برِجالها وشبابِها ونِسائِها . .
أنَا لا أصدِّقُ ما رأيْتُ . . وما سَمِعْت . .
هَلْ يُفْسِدُ الانسانُ شعْباً كِاملاً . . ؟
هَلْ يُفْسِدُ العِرْبيدُ أمَّةْ . . ؟
عدنانُ صَبَّ السُّمَّ فى النهْر العجوزِ فلَوَّثهْ
الناسُ تُهْلِكُها السُّمومُ ولَمْ يمُتْ شخْصٌ
ولا شخْصانِ . . ماتَ الشعبُ يا حَضَراتْ . .
وأمامَكُم . . وأمَامَ محْكمةِ العدالةِ والنزاهةِ
والشرَفْ . .
وأَمامَ كُلِّ النَّاسِ تخْدَعُنا امْرأه . .
تُخْفى عَنِ القانونِ دَجَّالاً تَخَفَّى فى ثيابِ الطُّهْرِ
أزْماناً طويلهْ
تُخْفى عَنِ القانونِ مُحْتالاً يُعَرْبِدُ فِى مَصيرِ
النَّاسِ واوْطَانْ
قَدْ قال هَذا الفاسِقُ الْعِرْبيدُ إنَّ اللّهَ ساوَى بْينَ كُلِّ

النَّاس ِ فِى أَرْزاقِهِمْ . .
فالمالُ حقٌّ للجَميعْ . .
والأرضُ مِنْ حقِّ الجَميعْ . .
والحُكْمُ مِنْ حقِّ الجميعْ
والنَّاسُ فى حقِّ الحياةِ سواسِيَهْ . .

عـلاء الدين : اللّهُ يا مولاىَ فَضَّلَ بَعْضَنَا . .
والفَضْلُ كُلُّ الفَضْلِ فِى حُكَّامِنَا . .

الحجاج : دَعُوه الآنَ يُكْمِلُ . . لا تُقاطِعْ

رفيق الأنس : عدنانُ هذا . . أَوْهَمَ البسَطاءَ أنَّ المالَ حقٌّ
للجَمِيعْ
والآن أَسْأَلُكُمْ : تُرَى هَلْ تُصبحُ الأَمْوالُ
والأعراضُ نَهْباً . ؟
هَلْ يَسْرِقُ الإنسانُ مالاً . . ليسَ حقًّا . . ؟
هَلْ يَخْطَفُ الإنسانُ شيئاً لَيْسَ لَهْ . . ؟
(مشيرا إلى الحجاج)
والحُكْمُ . . هَلْ فى الأرضِ حُكْمٌ فِى نزاهَةِ
حُكْمِنَا . . ؟

هَلْ فى الخَلِيقَةِ كُلِّها رجلٌ يَخافُ اللّهَ أَوْ يَخْشاهُ

مِثْلَ حَبِيبِنَا . . ؟

هَلْ نُبْعِدُ الأُمنَاءَ والشُّرَفاءَ أصْحابَ العقولِ

القادِرَه . . ؟

هَلْ نَتْرُكُ البُلَهاءَ والبُسَطاءَ فينا يَحْكُمونْ . . ؟

حسب اللّه : مَنْ يَستَبيحُ المالَ للبسطاءِ والضُعَفاءِ يُمْكِنُ أنْ

يُبيحَ الأَرضْ . .

مَنْ يَستَبيحُ الحقَّ يُمْكنُ أَنْ يَبيعَ العِرْض . .

سـعاد : كلامُكَ واللّهِ شىءٌ غريبٌ . .

فَماذا نُصدِّقْ . . ؟

ما كُنْتَ تَـحْكِى عَنِ الفَقْرِ والـجُوعِ

حَقِّ الشُّعوبْ . .

والآنَ تَنْسى حُقُوقَ الشُّعوبْ

أراكَ بِعيْنِي مَزاداً كبيراً

بِالأَمْسِ كُنْتَ تَبيعُ الفضِيلَهْ

والآن صِرْتَ تَبِيعُ الرذِيلهْ

وَبينَ المزاديْنِ . .

بعْثَ الرّجولهْ . .

حسب الله : أَسَمعْتَ يامَوْلاىَ ؟

الحجاج : أكْمِلْ كلامَكَ . . يارفيقَ الأنُس ِ حتّى نَنْتهى . .

رفيقُ الأنس : وَأمامنَا يا سادَتى . .

تَبْدُو الجريمةُ فى جَميع ِ فُروعِها

أرْكانِها . . أوْصَافِها . . أحْدَاثِها

كُلُّ الدلائِل ِ ضِدَّها . .

فسعادُ تُخْفى الآنَ عدنانَ وَلاَ نَدْرِى . .

تُرَى تُخْفيهِ فى بيْتٍ صغيرٍ أمْ كبيرٍ أمْ بعيدٍ أمْ قريبْ . . ؟

ولَرُبَّما تُخْفِيهِ سِرًّا فى الضَّميرْ . .

وَلرُبَّما تُخْفِيهِ حُلْماً فى السَّرِيرهْ . .

وَلرُبَّما تُخْفِيهِ طَيْفاً فى ضَمِيرِ الغَيبْ . .

كُلُّ الذى أَعْنيِه أنَّ جَرِيمةً وَقَعتْ وتلْكَ حُدُودُهَا . .

تُخْفى عَنِ القانونِ هارِبْ . .

تُخفى عَنِ القانونِ دجّالاً يُخَرِّبُ فى عُقولِ النَّاسْ . .

ياسادَتِى طبقاً لقانونِ الطوارىء أطلبُ الإعْدَام فوْراً .

حِرْصاً على الأرْواحِ والأطفالِ والبُسَطاءِ . .

والأموالِ والشعْبِ الأمِينْ . .

الحجاج : نادِ المتهمَه . .

الحاجب : سعادُ أحمدُ جمال الدِّين

(تَخْرجُ سعادُ مِنْ قَفَصِ الاتهامِ وتَقفُ فى مُواجَهةِ الحجاج)

الحجاج : هيًّا احْلِفى باللّهِ بالقَسَمِ العَظيمْ . .

قوْلِى وَرَبِّ سَوْفَ أَحْكى الحقّ . . لَنْ أَحْكِى سِواهْ . .

سعاد : وَمتىَ خَشيِتَ اللّهَ ياحجاجُ حتَّى تَطْلُبَ الْقَسَمَ العظيمْ . . ؟

أَجْهَضْتَنى . . وَدَمى سَكَبْت

لا يَزالُ الدَّمُ يَصْرُخُ فى ثِيابِى

لَمْ تَزِلْ لعْناتُهُ تَسرِى وتَسْكنُ فى قُلوُبِ الأبْرِياءْ . .

إنْ كانَ ظَنُّكَ أنَّ عَدْنَانَ مضَى . .

إنْ كانَ ظنُّكَ أَنَّ مَوْتَ الحُلْمِ فى الأحْشاءِ كانَ

نهايةَ التِّرْحالِ والسفرِ الطوِيلْ . .

سيعودُ يا حجاجُ للأحشاءِ حُلْمى مِنْ جدِيدْ . .

الحُلْمُ فى الأحْشاءِ حىٌّ لَمْ يَمُتْ

سيظلُّ أكْبرَ مِنْ يديْك

الحجاج : لا تَذْكُرِى الأحْلامَ .

ما مَاتَ مِنْها لا يعودُ ولَنْ يَعُودْ

هِىَ كالسَّحابَةِ قَدْ نَراهَا فى بَرِيقِ الصُّبْحِ لكنْ

لَا نراها فى سَوادِ اللَّيلْ . .

(مُتوتّرا) : هيَّا احْلِفى باللّهِ بالقَسَمِ العَظيمْ . .

سـعاد : أَقْسِمْ بِرَبِّكَ أَنْتَ يا حَجاجُ أَنْ تَخْشَى الذى خَلقَ الحياةْ .

الآنَ ياحَجّاجُ لَسْتَ الحاكِمَ الجبَّارْ

أَقْسِمْ بِرَبِّكَ أنْتَ يَاقاضى القُضاةْ . .

أَقسِمْ بِربِّكَ أنْ تَخافَ اللّهَ فى شَأْنى . .

وَلاَ تَخْشَى سِواهْ . .

الحجاج : مَنْ ياتُرَى فِينَا المُسىءُ ؟!

إنىِّ أَتَيْتُ لِكَىْ أُحَاكِمَ مُجْرِمَهْ . .

سعادُ أَنْتِ المُجْرِمَه . .

سعاد : الحقُّ فى الأَحْكامْ . .

الحجاج : والحقُّ أيْضاً فِى التُّهَمْ . .

سعاد : الحَقُّ أَنْ تَعْدِلَ . . قَالَ تَعالَى ؛ « فاحْكُمْ بَيْنَ النَّاس بالحَقِّ ولا تَتَّبعِ الهَوَى فَيُضُلَّكَ عَنْ سبيلِ اللّهِ إنَّ الذين يَضِلُّونَ عَنْ سَبيِلِ اللّهِ لَهُمْ عذابٌ شَدِيدٌ » . .

الحجاج : الحقُّ أنْ أَمْحُوَ الخَطيئةَ بَيْنَ أفْعالِ البشَرْ . .

الحقُّ أنْ أَحْمِىَ الضّعيفَ مِنَ القَوِىّ . .

الحقُّ أنْ يَجِدَ الجميعُ الأمْنَ والبيْتَ الصغيرْ . .

الحقُّ ألَّا أتْرُكَ الجُبناءَ فى هَذِى الشوارعِ يَعْبَثونَ وَيسْرقُونْ . .

(لَحْظةُ صَمْتٍ)

أنْ أتْركَ وطَنى للجُبناءْ . .
لَنْ أحْفَظَ حقاً . . لَنْ أمْنعَ شَرّاً . .
فَخطيئةُ فَردٍ أحْياناً
قَدْ تُصبحُ ناراً
تَلْتَهِمُ اليابسَ والأخْضرْ . .

سعاد : أتُراكَ تَعْرِفُ ما الخَطيئهْ . . ؟
أتُراكَ يَوْماً قَدْ رأيْتَ خطيئةً بَيْنَ الكِبارْ . . ؟
النَّاسُ يا حجاج مِثْلُ الزّرعِ يأكُلُ بَعْضَهُ
بَعْضاً . .
والنّاسُ يا قاضى القُضَاهْ . .
تَخْشَى الكِبارَ وتمْلؤ الدُّنيا ضَجِيجاً
تَصْرُخُ الآفاقُ . . والأزْمانُ . . من خطأِ الصّغارْ
حَتّى الخَطايَا أصْبَحَتْ كالفَقْرِ مِنْ حَظِّ الصغارْ
أتُراكَ يَوْماً قَدْ لَمَحْتَ كبيرَ قَوْمٍ فى السُّجونْ ؟
إنَّ الخَطِيئةَ للضِّعافِ مِنَ البَشرْ . .
أمّا الكِبارُ الأقْوِياءْ . .

أَخْطَاؤُهُمْ كالرَّمْلِ لا تُحْصَى . .
لكنَّهُمْ فَوْقَ الحِسابْ . .
يَتَحاسَبُونَ إذا أرادوُا بَيْنَ أَنْفُسِهِمْ عَلَى جُثَثِ
الصِّغارْ
وشُعُوبُهُمْ . . أَطْفالُهُمْ ضُعَفَاؤُهمْ . .
لَيْسَتْ تُساوِى أىَّ شَىءٍ عِنْدَهُمْ . .

الحجاج : أَنَا لَسْتُ كَبِيراً . .
ما كُنْتُ كَبِيراً فى يَوْمٍ . .
(يُحَدِّثُ نَفْسَهُ)
عُمْرِى قَدْ ضَاعَ عَلَى الضّعَفَاءْ . .
وبَدأتُ صَغِيراً مِثْلَ النَّاسِ وكنتُ ضعِيفاً
كالضُّعَفاءْ . .
إنَّ الضُّعَفَاءَ إذا كَبِرُوا يَنْسَوْنَ الضَّعْفَ . .
فالقُوَّةُ قُوَّةْ . .
فى زمَنٍ ماَ . . قَدْ أَقبَلُ أَنْ أُصْبِحَ شَيْئاً تَحْتَ
الأَقْدامْ . .
لِكنِّى لاَ أَعْشَقُ ضَعْفِى . .

تتغيرُ حولى الأشياءْ . .
أتملّصُ مِنْ تحْتِ الأقدامْ
وأُخلِّصُ نَفْسِى مِنْ ضَعْفى
وأقومُ وأكبَرُ . . أكبَرُ . . أكبَرُ . . أكبَرْ . .
تَرْتفعُ القامةُ مِنىِّ . . يَتَغيرُ لَوْنِى . . تَعْلو
أَقْدامى . .
يرتفعُ جَبِينى . . تَكْبُرُ عَضَلاتى . . أُصْبحُ
عِمْلاقاً
تُصْبحُ أقدامى فوْقَ الناسْ
يتزاحَمُ تَحْتِى الضعفاءْ . .
أصْبحُ طاووساً يَخْتالْ . .
أحْتقِرُ الضَّعْفَ وأنساهْ . . وأصِيرُ كبيراً
مَنْ صارَ كبيراً فى يومٍ لا يَقْبلُ أبداً أَنْ
يَضْعُفْ . .

سعاد : قَدْ تَسْقِى النَّاسَ دماءَ الناسْ . .
قَدْ تَشْربُ بَعْضَ الدَّمِ كىْ تَسْكَرْ . .
تَرْوى ظمأكْ

يتسلَّلُ فيكَ الدّمُ ليصْبحَ بَعْضَكْ

فَتَرى الأمْطارَ سحابةَ دمْ . .

وتَرى الأنْهارَ نزِيفاً يَجْرِى فى كفيْكْ

وتَرى الأشْجارَ سيولَ دِمَاءٍ فى عَينيكْ

وترى الأطفالَ جِراحاً تَصْرُخُ بينْ يَديْك

يَكْبُرُ فى عَيْنِكَ لَونُ الدَّمِ

يُغَطِّى وجهَكْ . .

ويُغَطِّى العالَمَ مِنْ حَوْلِكْ

تَعْتادُ السُّكْرَ بِدَمِ الناسْ

لكنّكَ يوماً يا حجاجْ . . لن تَجِدَ الناسْ

ستعودُ لتسْكَرَ مِنْ دَمِكْ

قَال تعالى : « مَنْ يُضْلِلِ اللّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلاً »

الحجاج : أَصْبَحْتُ أومِنُ أَنَّ لَوْنَ الدَّمِ فَوْقَ المِقْصَلَهْ

سَيظلُّ أَجْمَلَ مَايَراهُ الحاكمُ المَخْدوعُ فى حُبِّ

امْرأه . .

كُلُّ الشعوبِ تَخافُ لَوْنَ الدَّمِ . .

والحاكمُ الجَبَّارُ لا يَعْنيهِ شىءٌ غَيْرُ نَفْسِهْ . .

وَأنَا خُلِقْتُ لِكَىْ أكونَ الحاكِمَ الجبارْ . .

(يشير إلى كرسيه) :

سَأظَلُّ فى هَذا المكانْ . .

بالسَّيْفِ . . بالقانونِ . . بالدَّمِ المُراقِ

وبالرِّجالِ الأوْفياءْ . .

رفيقُ الأنس : سَيَفْلِتُ مِنَّا زِمَامُ الأُمُورِ

علاءُ الدين : هيَّا واحْكُمْ يا مَوْلَاى

ســعاد : عَدْنَانُ كانَ أحقَّ مِنْك . .

الحجاج : عَدْنَانُ هَذَا بِدْعَةٌ مسمومَةٌ فَسَدَتْ بِها زمَناً عُقولُ الناسْ . .

إنَّ المُهمَّ الآنَ مَنْ فِينَا حَكَمْ . .

إنَّ المُهمَّ الآنَ مَنْ فِينَا يَسُودُ النَّاسَ . . يَأْمُرُهُمْ . .

يُعاقِبهُمْ . . إذَا قامُوا إذَا صامُوا إذا ماتُوا

إذا حضَرُوا وإنْ غَابُوا . . أنَا

أنَا سيِّدٌ فَوْقَ الجَمِيعْ . .

ســعاد : إنَّ المُهمَّ الآنَ مَنْ فِيكُمْ عَدَلْ

الحجاج : إنْ فَسَدَ الشَّعبُ . .

لَا تَرفعْ أبداً صَوْتَ العدلْ

اجْعَلْ مِنْ سَيفِكَ مِقْصَلتَهْ . .

ســعاد : إنْ فَسدَ الحاكِمُ . .

لنْ يُرفَعَ أبداً صوتُ العدلْ . .

اجْعَلْ مِنْ شَعْبِكَ مَقْبرتَهْ

الحجاج : لا عدْلَ فى شعْبٍ مِنَ الجُهَلاءْ

الْعَدْلُ فى شَعْبٍ تعلَّمَ أَوْ تَثقفَ أوْ وَعَى . .

فى ظِلِّ شَعْبٍ لَمْ يَزلْ فى الجَهْلِ يسْبَحُ مِنْ

سِنينْ

لا يَمْلِكُ الحُكّامُ شيئاً غيْرَ حِكْمَتِهمْ

تَجاربِهمْ . . فِراسَةِ عَقْلِهِمْ

مِنْ أىِّ بابٍ سوْفَ تَحْكُمُنا الشّعوبْ ؟

إنْ قُلتَ بابَ العدْلِ لَنْ تَجِدَ الرجالْ .

إنْ قُلتَ بابَ المالِ يَحْكُمْكَ اللصوصْ

إنْ قُلتَ فِكْراً . .

هاهى الأفْكارُ تُعْرَضُ فى المزادْ

هيًّا اشْترِ ما شِئْتَ مِنْها . .

سـعاد : الحاكمُ يُخْطىءُ ويُصِيبْ . .

فَرْقٌ كَبيرٌ أَنْ تقودَ سَفينَةً فيها ملايينُ البَشرْ

أَوْ أنْ تُحاوِلَ أَنْ تَخُوضَ البَحْرَ وحَدَكَ سابِحاً

إنْ مِتَّ وحْدَكَ . . لَنْ يَضِيرَ الناسَ موْتُكْ

فَقدْ استراحُوا منْك . .

ماذَا تقولُ الآن . . ؟

أَغْرَقْتَ ياحجاجُ أمَّهْ . .

حسب الله : مولاى فاضَ الكَيْلُ

علاء الدين : لا وَقْتَ يامولاىَ عِندَكْ . .

الحجاج : إنىِّ أُحاكِمُها ليُدْرِكَ شعْبِىَ الغالى أصولَ

الحُكْمِ فى هذا الوطنْ . .

السجْنُ بالقانونْ . . القتلُ بالقانونْ . .

(يُحدّثُ نفسَه) :

وإذا قتلتُ الآنَ فرداً سوفَ أضْمَنُ أنْ يَظلَّ

الصمْتُ أزْماناً يُحَلّقُ فى مَدِينَتِنا ويُخْرِسُ

صَوْتَها .

الحاكمُ الجبارُ لا يَعْنيهِ فردٌ فى قَطيعْ . .

(يفيق الحجاج فجأة)

الحجاج : الآنَ نَدْخُلُ فى تفاصِيلَ القضِيهْ . .

سعاد : أيْنَ القضِيّهْ . . ؟

هَلْ يُسْجَنُ الإنسانُ مِنْ غَيرْ اتهامْ ؟

الحجاج : عدنانُ تُهْمَتُكَ الكبيرهْ . .

رفيق الأنس : قالَتْ بأنَّ الطفلَ يا موْلاى فى أحْشائها

وأبُوهُ عَدْنانُ . .

هذَا يُؤكِّدُ أنَّ عدنانَ تَخَفَّى عِنْدَها زمَناً

طوِيلاً . .

عشرين عاماً ياحُماةَ الحقِّ والعِرْبيدُ يَسْكُنُ

بَيْتَها . .

عِندى الشهودُ وكلُّهُمْ لَمحوهُ يَمْشِى فى المدينةِ

كُلَّ يومْ . .

الحجاج : هاتِ الشهودْ . .

الحاجب : الشاهِدُ الأولُ : سليمُ عبْدُ اللّه

الشاهد : نعمْ . . (يتقدمُ الشاهدُ من منصةِ المحكمةْ)

الحجاجُ : ما عَمَلُكْ ؟

سَلِيم : طَالبُ عِلْمٍ

الحجاج : أَقْسِمْ بِرَبِّكَ أَنْ تَقُولَ الحقْ . .

سليم : أُقْسِمُ بِرَبِيٍّ أَنْ أقولَ الحقْ . .

الحجاج : ماذَا رأيتْ . . ؟ قلْ ما رأيتْ . .

سليم : فى ليلةٍ كانَ الشتاءُ يدقُّ أبوابَ البيوتْ

والّليْلُ يَنْسِجُ خَلْفَ جُدْرانِ المدِينةِ

كُلَّ أشْباحِ المخاوِفِ والظّنُونْ

والجُنْدُ والبوليسُ فى كلِّ الشوارعِ

يَعْبثونَ ويَقتُلُونَ ويَحرِقُونْ

كلُّ شىءٍ فى مدينَتِنا ينامُ مع الظَّهيرهْ . .

فى حُجرةٍ كَالكهْفِ أسْكنُها أمامَ مقابِرِ الحىِّ

القديمْ . .

الكهفُ ضَجَّ مِنَ الضّياءِ

ظهرَتْ على أكتافِنَا فرَسٌ تُزَمْجِرُ . . فَوْقَهَا رجلٌ

مهيبْ

عيناهُ غارِقَتانِ فى حُزنٍ كنهْرِ النيلِ

حينَ يصيرُ مكسوراً ويَحْنى قامتَهْ

قَدْ صاحَ فينَا فى غَضَبْ :

ضِعْتُمْ وضاعَ زمانُكُمْ . .

ضعْتُمْ وضاعَ زَمَانُكُمْ

وعرَفْتُ هَذَا الصوْتْ . .

وسألْتُهُ : عدنانُ أنتْ . . ؟

أجابَنِى إِنِّ أنا عَدْنانْ . .

وسألتُهُ : لِمَ عُدْتَ يا عَدْنانْ . . ؟

فأجابنِى لأُخَلِّصَ الضعفاءَ مِنْ قَهْر الطُّغاه .

وسألتُه أسعادُ تَعْرِفُ أَيْنَ أنْتَ . .

أجابَنِى دَعْ عَنْكَ هذا الآنْ . .

ثم اختَفىَ خلْفَ المقابِر كالنسيمْ . .

الحجاج : هَلْ هؤلاء هُم الشهوْد

رفيق الأنس : الشَّاهِدُ غيَّر أقْوالَهْ

حسب اللّه : الشأهِدُ الثانى سَيُنْهى كُلَّ شىء فى القضيّه

الادعـــاء : الشاهد الثانى . .

الحاجب : أمين المصرى

« يقومُ الشاهِدُ على عُكازٍ . . ويقترِبُ مِنْ مَنصّة المحكمة »

أمين المصْرِى : نَعم . .

الحجاج : ما عَمَلُك

أمين : مُصَابُ حرْب

الحجاجُ : أَقْسم بَربِّكَ أنْ تَقُولَ الحقَّ . .

أمـــين : واللّه لَنْ أَخْشَى سواهُ . . الحقّ . .

الحجاج : قُلْ مَا رأَيْتْ . .

أمـــين : بالأمس عندَ الظُّهر طُفْتُ بساحَةِ الزهْراءِ

ثُمَّ قرأتُ فاتحةً لآلِ البيْتِ ثُمَ ذَهبْتُ وحْدِى

للحسينْ . .

ودعوتُ ربَّ البيت أَنْ يَهْدِىَ قُلوباً أَظْلَمتْ . .

ويُعيدَ للأرضِ السَماحةَ ، والنّقاءْ

وهناكَ فى الميدان . . ميدانِ الحُسينْ . .

الضوءُ يملأُ كلَّ شىءٍ فى المكانْ . .

عدنانُ يَخْطُبُ فى جموع الناسْ

الحجاجُ : « مفزوعاً ينظرُ حَوْلَهُ »: عدنانُ يَخْطُبُ فى

الحسينْ

وأيْنَ كانَ رِجالُنَا . . إن كَانَ يَخْطُبُ فى الحسينْ . .

وزراؤه : لَمْ ندْر يا مولاى هَذَا

(يَمْسِكَ الحجاجُ بِنَفْسِهِ)

الحجاجُ : أكمل

أمـــين : عدنانُ قال لنا بأن اللّه لا يرضىَ عَلىَ ما نحنُ فيه . .

وبأننا سَنَضيعُ بالجهلاء مِنْ حُكامِنا . .

وبأنَّ شرَّ الناسِ حكّامٌ تساقَطَ فى الظلّامِ ضَمِيرُهُمْ . .

قد قال عدنان بأن مدائِنَ المَوْتَى قبورْ . .

والصمتُ مَقْبرةُ القُبورْ

قدْ قال إنَّ الخوْفَ طُوفانٌ يُعربدُ فى قُلوب النّاسْ

والحقدُ يِظْهَرُ فى بُطونِ الأرْضِ كَالأَعْشَابِ

يَكْبُرُ كلَّما سقَطَ الشّجرْ . .

قَدْ قال إنَّ الخوفَ أسوأُ ما تُصابُ به الشّعوب

تَموتُ كَا لأشجارِ تُصلَبُ واقفةْ

أوطانُنا تحياَ ونَحْمِلُ اسْمَها . . فى كلِّ شىءٍ
نَحِملُهْ . .
ما قَيمةُ الانسانِ حين يَعيشُ فى هَذِى الحياةِ
بلا وطنْ . .
لاَ يَملكُ الانسانُ حقاً فيه . .
لا يملكُ الانسانُ أَنْ يَمْشِىَ بلا خوفٍ على
قدَميْه . .
لا يَمْلِكُ الانسانُ أنْ يَبْكىَ ولَوْ بعضَ الدموعِ
على تُرابِهْ . .
لا يملكُ الانسانُ أن يشكُوَ ولَوْ سِرًّاً . . على
أعْتابِهْ . .
لا يملْكُ الانسانُ أَنْ يخْتاَلَ فى فرَحٍ . .
ويصرُخُ فى جُموعِ الناسِ : لِى وطنٌ ولِى
حبٌ . . ولى بيتٌ . . وأطفالٌ صِغارْ . .

فأَنا غَريبٌ فيهْ . .
وطَنى غريبٌ فيهْ . .

فى كُلِّ شىءٍ أَحْمِلُهْ
فى الحُلْمِ فى الأحْزانِ . . فى فرْحى وفى يأسِى
وفى سَفَرى . . وفى ضَعْفِى . . وفى فَقْرى . .
وفى قَبْرِى . . وعُمْرِى أَحْمِلُهْ . .
فى ضَحْكَةِ الأطفالِ والبُسطاءِ . . والفقراءْ . .
فى كلِّ شىءٍ أحْمِلُهْ . .
وطنى وليسَ الآنَ مِنْ حقِّى إذا ما قلتُ . .
إنىِّ صِرْتُ أَمْلِكُ أىَّ شىءٍ مِنْ تُرابِهْ . .
لا حقَّ لى واللّهِ فى هذا الترابْ . .
حقِّى فقط فى الصّمتِ والأحْزانْ . .

الحجاج : ماذا تقولْ . . ؟
أمين : مولاىَ . . هذا ما حَكَى عدنانُ . .
الحجاج : شهودْ . . أَيْنَ الشهودُ ؟
عدنانُ أَصْبحَ قائِداً ومُعَلماً وزعيماً
هَلْ هَؤُلاءِ شهودُكمْ ؟
كوادِر . .

حسب اللّه : خدعوناَ حقاً يامولاى

قَدْ غيّروا أقْوالَهُمْ

رفيقُ الأُنسِ : مولاى لَا . . لا تَنْزَعِجْ . .

عَلاء الدينْ : هذا الشّاهِدُ ياموْلاىَ خَطيرٌ جداً

رفيقُ الأنس : سيُنْهى القَضيةْ

رفيق الأنس : الشاهدُ الثالثُ : مُتولى كامل مُتولى . .

الحاجبُ : مُتولى كامل مُتولِى

الحجاجُ : أَقْسِمْ بِرَبكَ أَنْ تَقولَ الحَقّ . .

متولى : واللّهِ يامولاىَ إنىّ خائفٌ . .

الحجاج : مِمَّنْ تَخافُ . . ؟ أنا هُنَا . .

متولى : إنىّ أرى عَدْنانْ . .

الحجاج : (مفزوعاً) . . تَرى عدنانَ يا مجنونُ . . أَيْنَ ؟

متولى : (مشيراً إلى الصّالة) عدنانُ يا مولاى يَجلِسُ فى

صفوفِ الناسِ وسْطَ المحْكَمةْ . .

عدنانُ بينَ الناسِ يا مولاىْ . .

الحجاج : عدنانُ بين النّاسِ وسْطَ المحكمةْ . . ؟

(ينزلُ رجالُ الشرطةِ ويبدأُ تفتيشُ الصالةِ
بالكشافات)

متولى : (يصيحُ): إنىّ أراهُ هناكَ . . إنىِّ أَراه هُناكْ . .
(يتجهُ رجالُ الشرطةِ حيثُ يُشيرُ الشَّاهدُ إلى كُلِّ
اتجاهْ)

متولىّ : مولاىَ . . عدنانُ يا مولاىَ خَلْفَكْ . .

(يقفُ الحجاجُ مذعوراً وينظرُ خلفَهُ حيثُ تُوجَدُ
مرآةٌ كبيرةٌ يظهرُ فيها وجْهُ الحجاجِ . يَمْسكُ
الحجاجُ بسيْفه ويُغْمِدُهُ فى المرآة . . فى
وجههْ)

الحجاجُ : (وهوُ يَطْعنُ وجُهَهُ فِى المرآة):
ما زلْتَ يَا ملْعونُ ظَلاّ لا يُفارِقُنى وتأْبَى أنْ تموتْ
مازلْتَ تَسكُنُ فى خيالى بين عيْنَىَّ . . فوْقَ
رأسِى
فى ضُلوُعِى . . لا تُموتْ
ارْحَلْ ودَعْنى رُبَّما أنْساكْ . .

ارْحَلْ ودَعْنِي لا أريدُكَ لا أحِبُّكَ . . لَنْ

أَراكْ . .

والآنَ لَنْ تَنْجُوَ سأَشْربُ مِنْ دمِكْ . .

دعْنى لِأَ شْربَ مِنْ دَمِكْ . .

دَعْنى لأشْرَبَ مِنْ دَمِكْ . .

« إظــلام »

الفصل الثانى

(الحجاجُ يَجْلسُ فى حالة ارتباك فى حُجْرَة المداولة مَع رفيق الأُنسَ وحسب اللّه وعلاء الدين . . الحجاجُ يدورْ حولَ نفْسهِ فى حالةِ قلقٍ شديدٍ

الحجاجُ : كثيراً ما أَسْأَلُ نَفْسِى . . إنْ كُنتُ أُحبُّ . .
وماذا يَعنىْ هذا الحُبْ . . ؟
شَوْقٌ ؟ فارَقَنى الشَّوقُ ، ولَمْ يَرْجِعْ . .
سَهَرٌ ؟ ما عُدْتُ أَنَامُ لكَىْ أَسْهَرْ . .
بعدُ الكلِّ بعِيدْ
ما عُدْتُ قريباً مِن أَحدٍ حتىًّ نَفْسى . .

ما أَبعَدَ نَفْسى عن نَفْسى . . !

إِنِّى أَحِنُّ لَها . . فهلْ هذا حنِينُ الشوقِ

أَمْ هذا جُنونُ الانتِقامْ . . ؟

إنِّى نَدِمْتُ . . ولَسْتُ أعْرِفُ

هلْ نَدِمْتُ لِحُبِّها

أَمْ هلْ نَدِمْتُ لِفقْدِها . . ؟

ندَمٌ ندَمٌ . .

ما أَثْقلَ الدُّنْيا وطعْمُ العُمرِ يملَؤهُ النَّدَمْ !

(يحدث نفسه) : قلْبى يُعانِدُنِى وَيأْبَى أنْ

يُطيعْ . .

ضَعْفى يُعذِّبُنى . .

لَماذا أخافُ إِذَا حاوَرَتْنى . . ؟ لماذا أُحِسُّ بأنِّى

طفلٌ وأنَّ لديْها المَلاذَ الأخِيرْ . . ؟

فماذَا سأَفْعلْ . . ؟

ماذا سأَفْعلْ . . ؟

حسب الله : مولاىَ أخْطأْنا تَركْناها لِتحْكِىَ كيْفَما شاءَتْ أمَامَ الشعْب . .

رفيق الأنس : صارتْ بطلهْ . .

حسب اللّه : خطأً قاتِلْ . .

الحجاج : ماذَا أفعلْ ؟ . .

علاء الدين : يا مولاى تُحاكَمْ سِرّا . .

حسب اللّه : تُقْتَلُ سِرّاً . . لا تَخْرُجُ أبداً للشعب . .

مولاىَ لا تَغْضَبْ إذا قلتُ الحقيقهْ

إنّا نَراكَ تحِنُّ للماضى البعيدْ

مَازلْتَ يا مولاىَ تَعْشَقُها وتَخْشاهاَ

الحجاج : (ثائراً) : اخْرَسْ . . ورَبِّى سَوْفَ أغْمِدُ كُلَّ

هذا السيْفِ فى رَأْسِكْ

لَـمْ أخْشَ غيرَ اللّهِ . . هلْ أخشَى امرأهْ . . ؟

حسب اللّه : مولاى لَمْ أَقْصِدْ . .

إنىِّ أردْتُ بأنْ أَقولَ بأنَّ قلْبَ المرْءِ أحياناً يكونُ

خطيئَتَهْ . .

القلبُ أحياناً يكونُ الجُرْحَ . . يُضْعِفُنا . .

ويَـخْذِلُنا . .

الحجاج : قُلْتُ يا مجنونُ اخْرَسْ . .

لیسَ لی قلبٌ یَلینْ . . إننیَ الحجاجْ . .

حسب الله : إذاً مولایَ . . أُقتُلْها . .

الحجاج : (متردداً): إذَا ثبتَتْ جریمَتُها . . سأقْتلُها . .

رفیق الأنس : القتلُ یا مولای سوفَ یُریحُها . . ویُریحُنا . .

الحجاج : لکنّها امرأةٌ وعارٌ أنْ یُقالَ

بأنّنی یوماً غرَسْتُ السیفَ فی صدْرِ امْرأةْ . .

علاء الدین : دَعْهَا لنا مولای . . نَقْتُلُها . .

حسب الله : العارُ یامولای أَنْ یأتیَ لنَا زمنٌ وتَحْکُمُنا امرأةْ . .

الحجاج : ماذا تقولُ ؟ وکیفَ تحکُمُنا امرأه . . ؟ هذَا جُنونْ . .

حسب الله : الناسُ یا مولای تَغْلی . .

والشعبُ قد یلْتفُّ حَوْلَ سُعادْ . .

فلَقدْ یَظُنُّ الناسُ أنَّ سعادَ

تَحْمِلُ رایةَ العِصْیانِ فی هذَا الوطنْ . .

والناسُ تَعْشَقُ رایةَ العِصْیانْ . .

والسِّجْنُ سوْفَ یکونُ باباً للبُطوُلةْ . .

علاء الدين : والشعبُ ينتظرُ البطلْ . .

في أيِّ شيءٍ ينتظرْ . .

في لاعبٍ في السيركِ يقفزُ ثمَّ يَهْبِطُ ثمَّ يعلوُ .

الناسُ يا مولايَ تَحْلُمُ بالبَطلْ . .

الحجاج : وأنَا . . ألستُ أمامَ شَعْبِي كلُّ أحْلامِ

البطلْ . . ؟

رفيق الأنس : سَتُثِيرُ الفِتْنةَ بينَ الناسِ . .

والشعبُ سيمْشِي خلفَ سُعادْ . .

الحجاج : وأنتمْ . . أيْن أنتمْ . . ؟

في يدكُمْ كلُّ الأشياءْ . .

في يدِكُمْ سيْفي إنْ شِئْتُمْ . .

في يدِكُمْ مَالي . . ورِجالي . .

(يُحدِّثُ نَفْسَهْ) :

في يدِكُمْ سيْفي . .

في يَدِهَا قَلْبي . .

أَنا الخاسِرْ . .

حسب الله : الناسُ يا مولاىَ يَجْمَعُها ضعيفٌ يُغْتَصِبْ . .
لكنْ يُنَفِّرُهَا كبيرٌ . . مُغْتصِبْ . .

رفيق الأنس : الشَّعْبُ سوفَ يَرى البطولةَ فى سُعادْ
ويَرى النَّذالةَ فى رِجالِكْ . .

علاء الدين : ستجْعَلُها أمامَ الناسِ كَعْبَهْ . .

الحجاج : وماذَا سوفَ أفعلْ ؟

الوزراء : تُقْتلُ فوراً يا مَوْلاىَ . .

الحجاج : لا أَسْتطيعْ . .

رفيق الأنس : واللّهِ يا مولاىَ ليْسَ بمُستَحيلٍ أنْ تَراهَا
فَوْقَ هذى المحكمهْ . .
وتَرى رِجالَك فوْقَ هذِى المِقْصَله . .

الحجاج : شىءٌ غريبٌ ما سَمِعْتُ . .
الشعبُ سوفَ يرَى البُطولةَ فى سُعادْ
وأيْنَ أنْتمْ ؟ خَبِّرونى . . يارِجالى الأوْفياءْ . .

علاء الدين : اِذْهَبْ بها سِرًا إلى سجْنِ القناطرِ لاَ يَراها الناسُ
بَعْدَ اليومْ .

خطأٌ كبيرٌ أنْ نُحاكِمَها أمامَ الشعْب . .

حسب الله : ضَعْفُكَ فى قَلْبِك يا مولاىْ . .

مازلتَ تخافُ عَلَيْها القَتْل . . اقْتُلْها تَبْرأْ . .

رفيق الأنس : أَنَسِيتَ يا مولاىَ ماضِيها مَعكْ . . ؟

قد فَضَّلَتْ عدنانَ يوماً ثمّ باعَتْ سيِّدَهْ . .

مَنْ ذاَ يُصدِّقُ أنَّ مِثْلَكَ قَد يُباعْ ؟

هلْ يَسْقطُ الحجاجُ فى حُبِّ امرأةٍ . . لتُحِبَّ غيرَهْ . . ؟

ياَلَلمَهانَةِ . . إنَّهُ خلَلٌ أصابَ عقُولنَا . .

الحجاج : اسْكُتْ . . اسكُتْ . .

أنا لسْتُ ضعيفاً . . أنتمْ ضُعَفاءْ

تخشَوْنَ امْرأةً يا جُبناءْ

حسب الله : مولاىَ . . إنْ ثارَ الشعبُ فَلاَ تَغْضَبْ

قدْ تُسأَلُ عنَّا حِينَ تَصيرُ الأرضُ دَماراً أَوْ أنقاضاً

بَيْنَ يديْك . . .

قَدْ تُسألُ عنَّا . . حينَ يُراقُ الدّمُ على الطُّرُقاتْ . .

لنْ تجدَ رجالَكَ ياَمولاىَ . .

علاء الدين : مولاىَ أَسْدَيْنا النَّصيحةَ فابتَذَلْتَ كلاَمَنَا

رفيق الأنس : كانَتْ نِهايتنُا معَكْ . . أنَا أُهِنَّا . .

هذا جَزاءُ الأوفياءْ . .

الحجاج : (متراجعاً) قَدْ كُنْتُ مُضطرِباً أمامَ المحكمهْ . .

لكِنْ سأفعلْ ما رأَيْتُمْ . .

لكننىَّ أحْتاجُ بعضَ الوقْت

ضَعْفى فى شىءٍ أعْرِفُه . .

أعْرِفُهُ وحْدِى . .

وسأبْرَأُ يوماً مِنْ ضَعْفِى . .

سأبرَأ يوماً . .

جُرْحٌ كبيرٌ فى يدِى أتَحَمَّلُهْ . .

جُرْحٌ صغيرٌ بين أعْماقى حرِيقٌ فى الضُّلُوعْ . .

« إظــلام »

الفصل الثالث

(سعادُ فى سِجْنهَا يُحِيطُ بها حراسُ الحجاجِ . يَبْدُو علَيْها الارْهاقُ والتَّعبُ)

سعاد : (تُكلِّمُ نَفْسَها): العقلُ ياعدنانُ غَابْ . .
آهٍ مِنَ الدُّنْيا . . غِيابٌ فى غِيابْ
ما أثقَلَ الأيّامَ يا عدنانُ بَعْدَكَ . . ؟
إنّها حِمْلٌ ثقيلْ . .
قُلْ إننَّا ضوءٌ مِنَ الأعْماقِ . فَجْرٌ لا تُطاوِلُهُ الضَّمائِرُ والعُقولْ
قُلْ إننَّا فوْقَ الزّمانِ . . وفوْقَ أرضِ الناسِ . .
فوْقَ المُستحيلْ . .

الثوْبُ يا عدنانُ تأْكلُهُ الكلابْ . .

أَشتاقُ ساعِدَكَ القوِىَّ يُعلِّمُ الأوْغادَ

إنَّ الأسدَ شىءٌ غيرُ ما عَرَفَ الكِلابْ

(يدخل عليها سلام يحملُ بعضَ الطعام والهدايا وتُلقى بنفسها على صَدْره)

سعاد : سلامُ . . أهلاً . .

سلام : كيف حالُكِ يا ابنتِى . . ؟

سعاد : أرجوكَ يا سلامُ لا تَأْتِى كثيراً بعدَ هذا اليومْ . .
إنِّى أخافُ عليْك . .

سلام : « قُلْ لَنْ يُصِيبنَا إلاّ ما كَتَبَ اللّهُ لَنَا » . .
مازِلتُ أذكرُ يومَ عُرْسِكِ يا سُعادْ . .
لاحَتْ عُيونُكِ فى ثيابِ العُرْسِ كالصُبْحِ النَّقىِّ
صوتُ الطبولِ وفرْحةُ الأطفالِ والحىّ العتيقْ . .
ما زلتُ أذكرُ عِندَما ابتسَمَتْ عيونُكِ خَلْفَ ثوْبِ
العُرْسِ كالنَّجْمِ البَعيدْ . .

وفتَحْتِ للحُلمِ الطريقْ . .

سـعاد : بماذا حلُمْت . . ؟

سـلام : إنىِّ حلُمْتُ بأنْ يَعودَ العُمرُ يَضْحكُ بيننَا
فَالحزْنُ علَّمَنا الكآبهْ . .
فى يوِم عُرسِكِ عادَ نهرُ النيلِ يَكْبُرُ فى خَيالى . .
صار يَكْبرُ ثم يكْبرُ ثم يُغْرِقنى . يُطهِرُنِى وَأصْبَحَ
جنةً خضراءْ . .
ورأيتُ أكواخَ القُرى صارتْ قُصوراً حوْلَها يشدُو
الحمَامْ
وشرِبْتُ ماءَ النيلِ ثمَّ شَعُرْتُ أنَّ الماءَ كالخمْرِ
المُعتَّقِ مِنْ سنينْ . .
ورأيتُ طينَ الأرضِ أكْواماً مِنَ الذهبِ المكدّسِ
فى ضميرِ الناسْ

سـعاد : فى يومِ عُرْسى . .
كانَتْ عُيونُ الفَجْرِ خلْفَ اللَّيلِ تَبكى . .
لَمْ أدْرِ هلْ كانتْ دُموُعَ الفرْحِ أَمْ دَمْعَ الأَسَى . . ؟

أَمْ أننَّا كُنَّا تعوَّدْنا الدّموُعَ . . ولمْ تَعُدْ نهفُو لأيام ِ
الفرَحْ ؟
ما أطْوَلَ الأيَّامَ حينَ يَصيرُ عُمرُ النَّاس ِ نهراً مِنْ
دمُوعْ !

سلام : قَدْ كانَ حُلْماً يا سُعادْ . .

سعاد : يا لَيْتنى ما عِشْتُ هذا الحُلْمْ . .
قَدْ صَارَ فى الأعْماقِ عِبْئاً لا يُطاقْ . .

سلام : يَطُولُ العُمْرُ فى ظلِّ الأمانى . .

سعاد : ويَذْبلُ عُمْرُنا بَعْدَ الأمانى . .
رِقابُ النَّاسِ أَرْخَصُ مَا يُباعْ . .

سلام : أخَافُ عَلَيْكِ مِنْ هذا الزمانْ

سعاد : ما زِلتُ أطْولَ مِنْ يدِ الحجّاجْ . .

سلام : لا شىْءَ أطولَ مِنْ يدِهْ . .

سعاد : إنْ كان رأسى فى يدِ الحجّاجْ
سيظلُّ حُلْمِى أبعَدَ الأشياءِ عنْهُ
الموتُ لا أَخشاهْ . .
لكننى أخْشَى على حُلْمِى مِنَ الموْتِ البَطىءْ

سلام : قَدْ كنتُ أعْرِفُ أنَّهمْ لَنْ يُمْهِلُوا عدنانْ . .

قَدْ كانَ يَخْطُبُ ذاتَ يومٍ فى الحُسينْ . .

ورأيتُهُ يَبْكى أَمامَ الناسِ يَصْرُخْ . .

يارِياحَ الحَقِّ قُومى واَعْصِفِى . .

فالليْلُ فى وطنى طوِيلْ . .

والقهرُ فى وطنى طويلْ . .

والعدْلُ فى وطنِى هزيلْ . .

ثُمَّ اخْتَفَى . .

سعاد : قَلْبِى يقولُ بأنَّهُ حَىٌّ . .

وكَيفَ يموتُ هذَا القلبُ يا سَلامْ . .

سلام : لِى صاحِبٌ قدْ قالَ لِى عدنانُ ماتَ ولَمْ يُكَفِّنْهُ أَحدْ

سعاد : وأَىُّ مقابرِ الدُّنْيا تَجَاسَرَ واحتَوى عدْنانْ . . ؟

مَضَى عدنانُ لَمْ يترُكْ لنا خبَراً

ولَمْ نَعْرِفْ لهُ أثراً

سلام : قدْ تَغرُبُ الأشياءُ عنْ بعضِ العقولْ . .

قَدْ يُصبحُ الصَّبارُ فى زمنِ الخريفِ هو الزّهورْ

قَدْ يُنكِرُ البُلَهاءُ ضوْءَ الشمسِ فى وسَطِ
النَّهارْ . .
يَبْقَى الضِّياءُ . . وقَدْ تَغيبُ عقولُهُمْ . .

سعاد : عدنانُ يوماً قالَ لى :
شَرُّ البَلايا عِنْدَما يأتى زمانٌ
يشربُ الابنُ اللئيمُ دِماءَ أمِّهْ . .
والآنَ يا سلامُ نَحْنُ نَعيشُ فى هذا الزَّمنْ . .
الآنَ نشربُ من دماءِ الأمَّهاتْ . .
الكُلُّ يأكُلُ لحْمَها . . لَمْ يَبْقَ غَيرُ العظْمِ . .
حتَّى عظامُ الأمّ يا سلامُ تُؤكَلْ . .
قَدْ قال لِى عدنَانُ يوماً :
شرُّ البَلايَا أنْ يموتَ الحبُّ فى صدْرِ البَشرْ . .
يأتى الربيعُ وتُصْبحُ الأزهارُ شيئاً كالحَجرْ . .
ويَصيرُ ماءُ النهرِ كالبئرِ العَفِنْ . .
والطفلُ يأْكُلُ ثَدْىَ أمِّهْ . .
نَزفَتْ دِماؤُهْ . .
ما أسْوأَ الزَّمنَ الذى صَارَتْ

دماءُ الأُمّهاتِ كئوسَ خمرٍ للبنينْ . . !

سلام : بِالأَمْسِ كُنْتُ أَسِيرُ بالكلْبِ الصَّغِيرْ . .

كنتُ اشتَرَيْتُ بِكُلِّ ما عِنْدِى قَلِيلاً مِنْ طعامْ :

كِيساً مِنَ الحَلْوى وَبَعْضَ الأَكْلِ . .

وأمامَ مَسْجِدِنا الكبيرِ تَجَمّعَ الأطفالُ حَوْلى . .

أَعْطَيْتُهُمْ كُلَّ الطّعامْ . .

قَدْ كُنْتُ فَرْحاناً بأَنَّ لدَىَّ شَيْئاً

يُسْعِدُ الأطفالَ فى هذاَ الزمانْ . .

مَا أَسْعَدَ الإِنْسانَ حِينَ يَذُوقُ طعْماً لِلْعَطاءْ . .

أَكَلَ الصِّغارُ . . وسارَعُوا بالطُّوبِ نَحْوِى

الْقَوا القُمَامَةَ فَوْقَ رَأْسِى . .

والكلْبُ يَصْرُخُ فى يَدِى . .

وَبَكَيْتُ مِنْ هَوْلِ الفَزَعْ

الكلْبُ يَسْبَحُ فى دِمائى . .

وَدَمى يَسِيلُ عَلَى دِماءِ الْكَلْب

والطوبُ فَوْقَ رءُوسِنا

واللّبُّ والحَلْوَى عَلى أَفْواهِهِمْ

إنْ سادَ فى الأوطانِ قَانُونُ الطُّغاهْ

الظُّلْمُ يُصْبحُ كلَّ شَىءٍ فى الحياهْ . .
يتعلّمُ الأطْفالُ طَعْمَ الظُّلْمِ يَسْرِى فى دِماءِ
الأمّهاتْ
فتَراهُ تاجاً فَوْقَ رأْسِ الأدْعِياءْ
وتَراهُ سَيفاً بَيْنَ ايْدى الأغْبياءْ
وتراهُ فى قَهْرِ الْكِبارْ
يتعلّمُ الأبْناءُ ظُلْمَ النّاسِ مِنْ آبائهمْ
(سعادُ تُصافحُ سَلّام وهو يَهِمُّ بِالخرُوجِ مِنَ السِّجْنِ)

سعاد : سلاّمُ . . عِنْدِى رَجاءْ . .
إنى أحِنُّ إلى الحُسينْ . .
اذْهَبْ اليهْ . .
واقرَأْ هُناكَ الفاتِحَهْ . .
قُلْ لِلْحُسَينْ :
لِمَ يا حُسَينُ تَركْتَنَا . . ؟
لِمَ يا حُسَينُ تركْتنا . . ؟

« إظــلام »

الفصل الرابع

(سلاَّمُ يَجْلِسُ فى كُشْكَ السَّجائرِ فى وَسَط الْميدْان ومَعَهُ مِسْبَحَتُهُ . وهُوَ يقرأُ القرآنَ . . فجْأةً تَظْهَرُ قوةٌ مِنْ رِجالِ الشرْطةِ تتقدمُ ناحيَة الكُشْكِ) .

عسكرى أول : سلاَّمُ . . اخْرُجْ لَنا سَلامْ . .

عسكرى ثان : اخرُجْ سَريعاً يا هِبابَ الطّينْ . .

عسكرى ثالث (ينْهالُ بفأْسِهِ عَلى الكُشْكِ) . .

سلام : ماذَا هُناكَ . . ؟ ماذَا هُناكَ . . ؟

عسكرى : قَرارٌ بهدْم الكُشكِ يا سلاّم . .

سلام : قرارُ مَنْ . . ؟

عسكرى : الحجاجُ . .

هذا بَيْتى . . هذا رزْقى . .

عسكرى (يَنْهالُ عَلَى الكُشْكِ بفأْسِهِ وَهُوَ يَصيحُ): اذهبْ إلَى الحجَّاجِ واسْأَلْ رُبماَ تَجدُ الجوَابَ)

سلاَّم : الْكشْكُ بَيْتِى لَيْسَ لى مَأْوىً سِواهْ . .

فَأَنا أَعِيشُ عَلَيْهِ . . آكُلُ مِنْ يديْه . .

بَيْتِى هُنَا . . مَالى هُناَ . . عُمْرِى هُناَ . .

يصيح : هَذا حَرامْ . . هَذا حَرامْ . .

(يَنْهالُ رجَالُ البُولِيسِ عَلَى الكُشْكِ تَحْطيماً وتَكْسيراً يَتجهُ سلام إلى قائدِ الشُّرْطةِ الذى يَقفُ بَعيداً . .)

سلام : قُلْ لى بِربِّكَ يَابُنىّ . .

جَرَّبْتَ يوْماً أَنْ تَصِيرَ بغيْرِ بَيْتٍ . . ؟ أَنْ تَنَامَ عَلَى الطرِيقْ . . ؟

جَرَّبْتَ يوماً أَنْ تَرى أَيَّامَ عُمْرِكَ مِثْلَ بَيْتِ النَّحْلِ دَمَّرَهُ حَرِيقْ . . ؟

أَنا يا بُنىَّ الآنَ فى عُمْرٍ ثقيلٍ ضِقْتُ مِنْ عُمْرِى وَمِنْ أيامِهِ . .

جرَّبْتَ يوم أن تَرىَ عَيْنَاكَ بِشراً مِنْ أسىَ

الآنَ يا وَلَدى أرى الدنْياَ ظَلاماً لا يُفارِقُ

مُهْجَتِي . .

بالله خذنى كى أرى الحجاج أو أرْجُوه . . حَتَّى لا أنَامَ عَلَى الطريقْ . .

الضابط : أمَرَ الحجاجُ بِهذَا الأمْرِ . . لاَ أمْلِكُ

إلا طَاعَتهْ . .

سلام : لَوْ كَانَ يَعْلَمُ أنَّنى ضَيَّعْتُ عُمْرى كُلَّهُ أبْنى

جِدارَ الكُشْكِ يوماً بَعْدَ يَومْ

أخْشَابُهُ سنواتُ عُمرى . .

ما عُدْتُ أمْلِكُ غَيْرَهَا . .

عسكرى أول يَسْرقُ السّجائِرَ مِنَ الكُشكِ والحلْوى ويُخْفيها

فى سُتْرتِهْ . .)

عسكرى ثانٍ (يَجْمَعُ النقودَ المتناثِرَةَ ويَنْهَالُ عَلَى الكُشْكِ)

عسكرى ثالث (فَمُهُ مَلِءٌ بالحلْوى والأكْلِ . .)

سلام : عدنانُ . .

يَا مُنْقِذَ الضُّعَفاءِ مِنْ سَفِهِ الكِبارْ

يا حَامِىَ الفُقَراءِ والأَيتَامْ . .
ارْجَعْ لَنا عدنانَ خَلِّصْناَ بِسَيْفِ الحَقِّ مِنْ هَذَا العَفَنْ . .

الضابط : مَاذا تَقُولُ الآنَ يا سَلاَّم . . ؟
عدنانْ . . ؟
عدنانُ والفقراءُ والأَيْتامْ . . ؟
كلامٌ يَسارِى . . كَلامٌ شُيُوعى . .
هيًّا أَضْرِبُوه . . هيًّا أَضْرِبُوه . .

(الفتوس تَنْهالُ علَى أَخْشابِ الكُشْـكِ . . يُلْقى سلامٌ بنفسـهِ على الكُشْكِ وَيَخْتلِطُ صوتُهُ مَعَ الأَخْشابِ التىَ تتكَسَّرُ . .)

سلام : آهٍ مِنَ الزمِن الذِى لا عَدْلَ فِيه . .
آهٍ مِنَ الزَّمِن الذِى لا طُهْرَ فيهْ . .
آهٍ مِنَ الزَمِن الذِى لا أَمْنَ فِيهْ . .
آهٍ مِنَ الزمنِ الذِى . .
لا عَدْلَ فِيهْ . . لا أَمْنَ فيهْ . . لا طُهْرَ فِيهْ . .

« اظلام »

الفصل الخامس

(يَنْدفِع شخصٌ عَلَى المسرح وَهُوَ يَصيحُ : عدنانُ جاءَ . .

عدنانُ جاءَ . . هتافات بِحياةِ عدنانْ تَسْبِقُ دخُولَهْ . .

يدخلُ الوزِيرُحسب الله وهو يَرْتَدِى زِيّاً مُعاصراً وَحَوْلَهُ الجماهِيرُ

مُتنكِّراً فى ثيابِ عدْنانْ)

عدنان الأول : هتافات : أهْلاً عدنانْ . . أهْلاً عدنانْ . .

« حَبيبُكمْ مينْ ؟ عدنانْ عدنانْ » . .

« زعيمكُمْ مينْ . . ؟ عدنانْ عدنانْ » . .

عدنان : إخْوانى :

أتيْتُ اليكُمْ . . ومنكُمْ أتيتُ . .

لَقَدْ جِئتُ مِنكُمْ . . وَلاشىْءَ مِنْكُمْ . .

سِوَى أننى كُنتُ مِنكُمْ قَرِيبْ

أَنَا الآنَ فيكُمْ . .

سلامٌ عليْكُمْ . . سلاَمٌ عَلَيْنا . .

سلامٌ عَلَى الأرضِ وَالسَّامعينْ

هتافات : « حَبيبُكُمْ مِينْ ؟ . . عدنانْ عدنانْ »

عدنان : دَعُونى لأحْكِى . . وَما قُلْتُ فِيكُمْ

سِوَى أنّنِى جِئْتُ فِيكُمْ أقُولْ . .

فَسَوفَ أقولُ كلاماً كثيراً

وَخَيْرُ الكلامِ كلامٌ يُقَالْ

دَعُونِى لأحْكى . .

أقُولُ لَكُمْ كُلَّ ما قُلْتُ يَوْماً . .

أقُولُ لَكُمْ بأَنَّ القولَ قَوْلٌ

فَقُلْ ما شِئْتَ لا تَخْشَ العِقَابَا

فَإنْ قُلْنَا فَمَا قُلْنا كَثِيراً

سَأَلْناكُمْ وَلَمْ نَجِدِ الجوَاباَ

إذاَ كانَ السُّؤالُ دَليلَ قَوْمٍ

فَكُلُّ القَوْمِ قَدْ صَارُوا نِعَاجاً

حَلُمْنَا ذَاتَ يَوم ٍ بِالقصُورِ
ونَحنُ الآنَ لا نَجِدُ الدَّجاَجاَ

هتافات : شبابٌ أَنْتَ يا خَيْرَ الشَّبابِ
وَيا زَهْراً تَرَعْرَعَ فى الرَّوابِى
ويا نَجْماً تَأَلَّقَ فى السَّحاب
ويا زَهْراً عَلَى أرض ٍ خَرَابِ . .

عدنان : أنا عدنانُ مِنْكُمْ صَدِّقُونِى
أقولُ لَكُمْ بِأَنِّى قُلْتُ شَيئاً
وَما قُلْناهُ شَىْءٌ لايُعَادْ . .
أَنَا القِنْدِيلُ فى لَيْل ٍ طويل ٍ
وَأَنْتُمْ فى جوانِحِنا المُرادْ
إِخْوانِى . .
لابُدَّ أَنْ أَحْكى لَكُمْ كُلَّ الحكَايهْ . .
أَتَيْناَ كَىْ نُحَرِرَكُمْ . . أَتَيْناَ كَىْ نُطَهِّرَكُمْ . .
أَتَيْنَا كَىْ نُغَيِّرَكُمْ . .
جِئْنا لَكُمْ . . لِنُحرِّرَ الأطفالَ والأشجارَ والنهرَ
العجوزْ . .

لَنُعِيدَ للنَّهرِ الجَسورِ شُمُوخَهْ . .

صوت : هَلْ تَفْهَمُ شَيْئاً مِمّا قَالْ . . ؟

صوت : كَلامُ عَظِيمْ . .

صوت : غداً سَوْفَ أَكْتبُ رَأْياً خَطِيراً

صوت : خِطابٌ خَطِيرٌ . . حِوارٌ مُثِيرٌ . . وقائدُ أُمَّةٍ . .

وَشعبٍ . .

صوت : أقصِدُ . . شعباً قديراً

صوت : قَدْ قُلْتَ شَيئاً غَيْرَ هذا . .

صوت : قَدْ قُلْتَ إِنَّ خِطَابَهُ شَيْءٌ خَطِيرْ . .

صوت : كَانَ الحِوارُ مُبارَزةْ . .

صوت : سَأَكْتُبُ رَأْياً : القائدُ وطَرِيقُ الثَّوْره . .

صوت : لَا . . الميثَاقُ فى حقيقةِ الحُبِّ والأَشْواقْ . .

صوت : لَاالْكِتابُ الأخْضَرْ . . فى مَعْرِفَةِ الزَّمنِ

الأغبَرْ . .

صوت : لا . . بَلْ الكِتابُ الأحمَرُ فى تاريخِ الشِّعْرِ

الأشْقَرْ . .

صوت : بيانُ السَّابع مِنْ أَمْشِير . .

صوت : الصحْوةُ الصُّغْرى فى سِرِّ النَّوْمَةِ الكُبْرى

صوت : ماذا تَكْتبْ . . ؟

صوت : أَكْتُبُ مَا أسْمَعْ

صوت : ما تَسْمَعُ مِنَّا . . ؟

صوت : اكُتبُ تَقْرِيراً للسُّلْطِة عَنْ رَأْىِ الشّعبْ . .

أصوات : السُّلْطاتْ . . . ؟

(الكلُّ يَجْرِى . . أصواتٌ : مباحِثْ . .
مباحِثْ)

(يَظْهَرُ الوزيرُ علاء الدين يَرْتَدِى مَلَابِس
عَصْرِيةً . . يتقدمُ وحوْلَهُ الجماهيرْ . . .)

عدنان الثانى : إِخْوانِى . .

أقولُ لكُمْ كَلَامى لَيس يَخْفَى
على أحدٍ ورَبِّ لَنْ يُعادْ . .
كلامٌ واضِحٌ لاَ لُبسَ فِيهْ . .
كَماَ النيرانُ تَلْتَهِمُ الرَّمادْ . .

هتافات : الشعبُ وراءكَ يا عَدْنانْ

أهلاً أهلاً يا عدنانْ

مرْحبْ مرحبْ يَا إنسانْ . .

عدنان : قد جِئْتُ أُعْلِنُ أَنَّ ثوْرَتنا مَنارَهْ . .

وبأنَّ أحْلامَ الغَدِ المَأمُولِ كادَتْ أنْ تُطِلَّ مِنَ السّتارهْ . .

وبأنَّ اجْنحَةَ الأَمانِ تَكادُ تَقْفزُ فَوْقَ جُدْرانِ العِمَارهْ . .

كلُّ المشاكلِ سَوْفَ تَرْحَلْ . . أوَّلُ النِّيرانِ يبدأُ مِنْ شَرارهْ

دَعُونى لأحْلُمَ فيكُمْ قَليلاً . .

أنَا عدنانْ أُعْلِنُهَا صَرِيحَهْ : هُمُومُ النَّاسِ أحْلامٌ جَرِيحَهْ . .

أتيْتُ لَكُمْ بأحْلامٍ كِبارٍ : أثَاثٌ مُمْتعٌ . . فِيلاً مرِيحَهْ . .

هتافات : عدنانْ عدنانْ . . حَبِيبَ العُمْرِ حَبِيبَ الزّمانْ . .

عدنان : أقولُ لَكُمْ . . بأَنىِّ لا أُساوِمْ . .
إذا ساوَمْتُ فى وطنى وفى عِرْضِى وَفِى شَعْبِى
وفى دِينى . .
علىَ الكُرْسى ورَبِىِّ لَنْ أُساوِمْ . .
إذا قاومْتُ سَوْفَ أَظَلُّ فِيكُمْ
أقاوِمُ بَيْنَكُمْ لأَظَلَّ فِيكُمْ
عَلَى أنْفاسِكُمْ . . إمَّا بقَائِى . . وإمَّا
مَوْتُكُمْ . . مُوتُوا لأَبْقىَ . .
إنىِّ أتيْتُ لِكَىْ أَعِيشْ . .
حتىَّ وَلَوْ مِتُّمْ . . فَمُوتُوا كَىْ أَعِيشْ . .

هتافات : بالرُّوحْ . . بالدَّمْ . . نَفْدِيكَ يا عدنانْ . .
عدنانْ عدنانْ . . عِلْمٌ وإيمانْ . .

عدنان : قَطَعْنَا كُلَّ أَلْسِنِة الصِّغارِ . . لِكَىْ لا يَنْطِقُوا
ربَطْناَ كُلَّ أَلْسِنِة الكبارِ . . لِكَىْ لا يَسْأَلُوا . .
وهيَّا واسْمَعُونِ كَىْ أَقُولْ . .
العدْلُ فِيكُمْ لَنْ يَمُوتْ . . العَدْلُ فِينَا لنْ يَمُوتْ

هِيَ دوْلَةُ الإِيمانِ والتّقوى وخَوْفِ اللّهِ فى هَذَا الوطَنْ . .

العَدلُ للضُّعفِاءِ والفُقراءِ والجوعَى وللشَّعْبِ العرِيقْ

بِالْعِلْمِ والايمانِ نبْنيها ونَرْفَعُ رَأْسَها بَيْنَ الأُممْ . .

هتافات : وراحَ عدنانُ . . وجاءَ عدنانْ

وصوْتُنَا يَهُزُّ فى كُلِّ مَكانْ

عدنان : فَتحْنَا الآنَ أبوابَ المدينهْ

فَتحْنَاها وأهْلاً بالكِرامِ

كُلوا فيها وهَيَّا أكُلُونَا

صباحَ البَيْضِ أهْلاً بِالحمَامْ

أصوات : يَطيُر الحمَامُ يَجِىءُ الحمَامْ

وأنْتَ الحبيبُ وأنْتَ المُرامْ

سَتَبْقَى الرّسُولَ لأرْضِ السّلامْ

عدنان : سأبنِى فى قُلوُبِ النَّاسِ سِجْناً

واجْعلُ مِنْ مآقِيهِمْ وِشاحاً

جعَلْناها انْفتَاحاً فى انفتاحِ

وإنْ شِئْنَا جَعَلْناها انبطاحاً

قَضَيناَ العُمْرَ نَحْلُمُ بالسَّلامِ . .
فَلاَ ظُلْمَ ولا لَوْمَ علَيْناَ
كَفَاناَ اللّهُ أوْلاَدَ الحَرامِ

هتافات : كَفاكَ اللّهُ أولادَ الحرامِ . .
ستْبقَى دائِماً رَجُلَ السَّلامِ . .

(يدخلُ الوزيرُ رفيق الانس يَرْتَدى ملابِسَ عَصرْية وحوْلهَ هُتافاتُ الشَّعبْ)

عدنان الثالث : مازلْتُ أميناً لَمْ أَسْرِقْ . .
مازلْتُ عَفِيفاً . . لَمْ أَشْتِمْ
وهمُومُ النَّاس تُحاصِرُنى
لِكنىّ أبَداً لَنْ أنْدَمْ . .
لَنْ أَفْعَلَ شيْئاً كَىْ أنْدَمْ . .
سنواتٌ تَرْحَلُ مِنْ عُمْرى
مِنْ عُمرِ الناسِ ولاَ أعْلَمْ . .
مازلْتُ أُحاوِلُ أنْ أفْهَمْ . .
أَعطُونِى الفُرْصَةَ كَىْ أفْهَمْ . .

هتافات : يَكفِيناَ طُهرُك . . لا تَنْدَمْ

لا تَفْهَمْ أبداً لاَتفهمْ . .

سَيَجِىءُ اليومُ لِكَىْ تفْهَمْ

عدنان : عاهدْتُ الشّعْبَ بِأنْ أفْهَمْ . .

سيَجىءُ اليَوْمُ لِكَىْ أفْهَمْ . .

أرْجُوكُمْ أعطُونِي الفُرْصَهْ . .

أنـــا لا أريدُ الـحـكـمَ بالتضليلِ

حكمُ الـطهـارةِ مقصـدى ودليلى

يومــاً رأيتـم شكــوتـى وعــويلى

قطعـتُ من فرط البُكـــا منـــديلى

« ظـــلام »

الفصل السادس

(يتسلَّل الحجَّاجُ إلى سعاد فى سِجْنِهَا بِلاَ حراسٍ ولاَ رِجَالٍ ، وهِىَ تَجْلِسُ وحيدةً فى زِنْزَانَةِ السِّجْنِ)

سعادُ : هَلْ بَعْدَ هذاَ العُمْرِ يَجْمَعُناَ مَكانٌ . . ؟

الحجاجُ : لماذاَ كُلّما اقْتَربتْ خُطَانَا . . تُفرِّقُناَ دُروبُ العُمرْ ؟

سعادُ : (بصوتٍ خافتٍ) عدنانْ . .

الحجاجُ : إنِّى أُحِبُّكِ يا سُعادْ

سعادُ : وأناَ وربِّ النَّاسِ لَمْ اعْشَقْ سِوَى عَيْنَيْك

بيتاً أو مَلاَذاً أَوْ وَطَنْ . .

عَيْناكَ عِنْدِى أَجْمَلُ الأَشْواقِ حينَ تَغِيبْ

أَطْهَرُ الأشْياءِ حينَ تَجِىءْ . .

أَطْولُ الأيَّامِ حينَ أظَلُّ بَعْدَكَ انْتَظِرْ . .

الحجاجُ : ما أَثْقَلَ الزَّمَنَ الذى قَدْ ضاعَ مِنْ عُمْرِى بعيداً
عَنْكِ . . !
كَمْ كنتُ أَسْأَلُ :
ما الذى جَعَلَ الحياةَ أمامَ عَيْنِى مُظْلِمَةْ . . ؟
كَمْ كنتُ أسألُ :
ماالذى جَعَلَ الرَّبِيعَ ظِلالَ حُزْنٍ قاتِمَةْ ؟
كَمْ كنتُ أَسْأَلُ :
ما الذى فِينَا يُضِىءُ العمرَ
يَجْعَلُهُ بلاداً تَحْتوى كُلَّ البَشرْ . . ؟
شىءٌ عجيبٌ أَنَّنا بالحُبِّ
نَعْشَقُ كلَّ شىءٍ فى الحياةْ
وبأننا مِنْ غَيْرِ حُبٍّ قَدْ نَعِيشُ وقَدْ نَمُوتُ
وَلاَ نُصدِّقُ أننَّا عِشْنا الحَياةْ . .

سعادُ : هذاَ صَحِيحْ . .
يا واحَتِى ورَبيعَ عُمْرِى
هَلْ أُحِبُّ العُمْرَ فيكْ ؟
أَمْ أُحِبُّ الطُّهْرَ فيكْ . . ؟

أَمْ أُحِبُّ النَّاسَ فيكْ . . ؟
الحُبُّ يملؤ كُلَّ شىْءٍ فى حَياتى رَغْم هذا
السِّجْن
فَأَرَى الشَّقاءَ ظِلالَ حُبٍّ . .
وَأَرَى الدُّمُوعَ رَحيقَ حُبٍّ
وَأَرَى السُّجونَ وإنْ توَارَى العُمْرُ فيها .
بَيْتَ حُبْ .

الحجاجُ : يَتَساوَى النّاسُ على الدنْيا
يَتَساوَى المَالُ مَعَ الحاجَهْ . .
يَتَساوَى الصُّبْحُ مَعَ الظُّلْمَهْ . .
لَكِنَّ الحُبَّ يُطَهِّرُنا . .
يَجْعَلُنا فَوْقَ الأشْياءْ
يَجْعَلنَا شيئاً غيرَ النَّاسْ . .

(يدَوُر الحجاجُ حوْلَ نَفْسِهِ)

يا أَيُّها الزَّمَنُ البِعيدُ
ارْجعْ بِربِّكْ
إِنِّى هُناَ وسُعادُ بَين يَدَىْ

القَلبُ ينبِضُ فى خَرِيفِ العُمْرِ كالطُّفْلِ الولِيدْ
يا أيُّها العُمْرُ البَعيدْ
قالُوا بأنَّ الأمْسَ أبَداً لَا يَعُودْ . .
وَأنَا أعَدتْ الأَمسَ . .
إنِّى نَسِيتُ بُعَادَنَا . .
ونَسِيتُ أنَّكِ ذَاتَ يَوم
قَدْ رَحَلْتِ كَنَجْمَةِ الصُّبْحَ الُمسافِرِ فى الأفُقْ
الآنَ أنْتِ هُناَ علَى عَيْنِى . . وفى قَلْبى . .
وَفى سَمْعى
الآنَ أَنتِ هُناَ وكُلُّ النَّاسِ تَشْهَدُ
أننَّا رغْمَ السِّنينَ ورَغْمَ هذَا العُمْرِ ما زِلْنَا نُحِبُّ
ونَحْتَرِقْ

سعادُ : ما كنتُ أُصَدِّقُ انَّكَ يَوْماً سوْفَ تَجِىءُ . .
تَعُودُ تُلمْلَمُ أحْزانِى
تَتَلأْلأ فى عُمْرِى ضُوءاً
ما كُنتُ أُصَدِّقُ فى يَوْمٍ أنَّا سنَعُودُ حبيبَينْ
أحْيَاناً لا أحْسِبُ عُمْرِى

بَعْضُ النَّاسِ يَرَىَ فى العُمْرِ سِنِين

يَفْرَحُ إنْ طَالَتْ

وأنا لَا أَعْبأُ بالأَيَّامِ . . سواءُ قَصُرَتْ أمْ -

طَالَتْ . .

فَالعُمْرُ حَياهْ . .

إحسَاسُ يَسْرِى دَاخِلَنَا . .

لا خَيْرَ فى عُمْرٍ بلاَ إحْساسْ

شَخْصٌ وحيدٌ فى حَياتِى

أراه كُلَّ النَّاسِ

الحجاج : إنىِّ أُحِبُّكِ بَسْمَةً لِشبَابِى

إنىِّ أُحبُّكِ شَعْرةً بيْضاءَ

تَحْبُو فَوْقَ رَأْسى فى خَجَلْ

أَنتِ الحياةُ براءَةٌ وطهارةٌ ونقاءْ . .

والعُمْرُ أنتِ تَمَرُّدٌ وخطيئةٌ وشَقاءْ . .

قَدْ جِئْتُ أَحْمِلُ رِحْلَتِى أَثْقالى

وتَعِبْتُ مِنْ سَفَرِى وَمِنْ تَرحالى

أَنا مُتْعَبُ

سعادُ : وأَنَا ورَبِّ مُتْعَبَةٌ (يتَعانقانْ)

الحجاجُ : كِلانا جَرِيْح . .

أمَا آنَ لِلقَلْبِ أنْ يَسْتريحْ . . ؟

سعادُ : يُرِيدُونَ قَتْلى لأَنِّى أُحِبُّكْ . .

خَطِيئةُ عُمْرِى . . إنِّى أُحِبُّكْ . .

حُبُّكِ عَارِى . . حياتِى ومَوْتِى . .

الحجاجُ : لَنْ يَستَطِيعُوا يا سعادُ . .

سعادُ : الطِّفلُ يَصْرُخُ بينَ أَعْماقى وطالَ الحَمْلُ فى الأَحْشَاءْ

الحجاجُ : ابْنى أناَ . . ؟

ما زَالَ حُلْمى أَنْ أراهْ . .

سعادُ : أَتُرَى رأَيْتَ ثِيابَهْ ؟

هَذى ثِيابُ الطِّفلِ أُخْفِيها ورَاءَ البَابْ

خَلْفَ السِّجْنَ . . فى القُضْبانْ . .

هذى الثِّيابُ غَزَلتُها بِسنين عُمْرِى

زَينتُّها بالدَّمْعِ والأحْزانِ وليالى الصَّقِيعْ

طَرَّزْتها بينَ الجِراحْ . .

خَبَّأْتُها وسْطَ العُيُونْ . .

الحجاجُ : ابْنِى أَنَا . .

هَلْ تَذْكُرِينَ حِكايَةَ العَرَّافِ حين أَتَى

وَقالَ بأَنَّناَ يَوماً سنُنْجِبُ طِفْلنَا . . ؟

وبِأَنَّهُ سيَجِىءُ فى زَمَنٍ عجيبْ ؟

سَيجِىءُ فى زَمَنٍ يَمُوتُ الطِّفْلُ فِيه

إِذَا تَغَنَّى با لأَمَلْ . .

ماذَا يُساوِى العمرُ مِنْ غيرِ الأَمَلْ ؟

سعادُ : قَدْ يَخْسِرُ الإِنسانُ أشياءً كثيرهْ

قَدْ يَخْسرُ

الأَمْوَالَ . . والأَعْمار . . والأَوْطَانَ . .

ويَعُودُ يَبْدَأُ مِنْ جَدِيدٍ . . بالأَمَلْ . .

هوَ كُلُّ شىءٍ فى الحيَاه

إِنْ ماتَ فِيناَ . . لَنْ تَصيِرَ لَنَا حياهْ

الحجاجُ : قَدْ قَالَ إِنَّ وَليدَنا سَيَجِىءُ يوْماً بِالأَمَلْ

مِنْ يَومِها سَمَّيْتُهُ أَمَلْ . . أمَلْ

سعادُ : أَمَلْ . . أَمَلْ . . اسْمُ جميلْ

أَمَلْ عدنانْ . .

الحجاجُ : عدنانُ مِنْ يا خائِنهْ ؟ !

سعادُ : مَنْ أَنْتَ . . ؟

الحجاجُ : أَنَا الحجاجُ أَنْتِ العاَهِرَهْ . .

سعادُ : وكيفْ أَتَيْتَ . . ؟ مَتَى قَدْ جِئْتَ ؟

(تَدُورُ سُعادُ عَلَى المَسْرَحِ)

عدنانُ كَانَ هُناَ . . وقُلْنَا آهٍ كَمْ قُلْنا . .

وما أَحْلَى الكَلاَمْ . .

الحجاجُ : هَلْ كُلّ هذَا الشوْقِ فى عدنانْ ؟

أَنَا لاَ أرِيُد الآنَ حُباً مِثْلَ حُبىً . .

فَحُبِّـى فَوْقَ ما عَرَفَ البَشَرْ . .

أَنَا لاَ أُرِيدُ الآنَ أَشْواقاً كأَشْواقِى

أُعْطيكِ حَياتِى سُلْطانِى . .

كَىْ آخُذَ بَعْضاً مِنْ حُبِّهْ . .

كَىْ آخُذَ بَعْضاً مِنْ عِشْقِهْ . .

سعادُ : عدنانُ يوْماً كاَنَ شيْئاً فِيكَ . . ماتْ . .

بِيَدَيْكَ أَنْتَ قَتَلْتَهْ . .

الحجاجُ : إنىِّ أرِيدُ لَكِ الحياهْ

سعادُ : وأَنَا أريدُ المَوْتَ فى عدنانْ

فى كُلِّ يوْمٍ قَدْ نُغَيرُ وجْهَنَا وحيَاتَنَا ورِفاقَنَا

فى كُلِّ يَومٍ قَدْ نرَى شَيْئاً جَديداً حَوْلنَا

لَكِنَّهُ قلْبى الذى ما عُدْتُ أمْلِكُ أَىَّ شَىءٍ

فِيهْ . .

هَلْ أَبكى عَلَى قَلْبى . .

أمْ أبكى عَلَيكْ . . ؟

مَاذَا يُفيدُ الدَّمْعُ يا مَنْ كُنتَ فى يَوْمٍ حَبِيبى ؟

الحجاجُ : دَعِى المَاضِى . .

تَعالَىْ الآنَ نَنْسَى كُلَّ ما قَدْ كانَ فِيهْ . .

تَعالَىْ الآنَ نَحْصُدُ ما زَرَعْنا . .

تَعالَىْ الآنَ نَجْنِى ما غَرَسْنا . .

سعادُ : غَرَسْناَ مَعَاً . . وجَنيْتَ وَحْدَكْ

الحجاجُ : كفَاكِ جنوناً . .

أرِيدُكِ بَيْتاً . . وعُمْراً . . وأَمْناً . .

سعادُ : أُرِيدُكَ أنْتَ عَدنانَ القَدِيم . .

الحجاجُ : أفيقِى مِنَ الوَهْمِ هذَا جُنُونْ . .

سعادُ : لاَ تُتْعِبْ نَفْسَكَ يا حجاجُ . .

لَنْ أجْنِىَ شَيئاً مِنْ زَرْعِ

زَرْعُكَ مَوْبُوءْ

غَرْسُكَ مَوْبُوءْ

جَنيُكَ مَوْبُوءْ

الحجاجُ : لَمْ تَتْرُكى شَيئاً وحيداً

عَلَّنِى يَوْماً أَحِنُّ إلَيْكِ وَ أَتَذَكَّرُكْ

لَـمْ تَتْرُكى فى القَلْبِ نَبْضاً رُبَّـمَا أَشْتاقُ ايَّامِى

مَعَكِ

يا خائِنَهْ . .

واللَّهِ لَنْ أُبْقِيكِ بَيْنَ النَّاسِ أرْضاً

واللَّهِ لَنْ ابقيكِ طُهْراً أَوْ خَطِيئَهْ

واللَّهِ لَنْ أبْقِيكِ بَيْتاً أو ضمِيراً أَوْ وطَنْ . .

واللَّهِ لَنْ أبْقِيكِ فى نَفسِى ولاَ قَلْبى . . ولاَ
عَيْنى
سَامْحُو الآنَ وِجْهَكِ مِنْ حَياتِى كُلِّهَا . .

« اظلام »

الفصل السابع

(فى مَيْدانٍ عامٍ يَقفُ الشَّعْبُ كُلُّه . . والنّـاسُ فى حالَـةِ هَلَعٍ وخَوْفٍ وذُهُولٍ . . والمشْنَقَةُ مُعَلَّقَةٌ فى وَسَطِ المَيدانِ)

صوت : سَتُعْدَمُ هَلْ تُصَدِّقْ ؟ .

صوت : قَدْ عذَّبُوهَا فى السُّجُوْنِ وفى المحاكِمْ . .

صوت : سَتَرْتَاحُ مِنْ كُلِّ هذا العذَابْ

صوت : لكِنَّهُ واللَّهِ ظُلْمٌ لا يُطَاقْ . .

صوت : لَمْ تَفعَلْ شيْئاً كَىْ تُعْدَمْ . .

صوت : سَتَموتُ فوقَ المِشْنقَهْ

لكنَّنا واللَّهِ نُقْتَلُ كُلَّ يَوْمٍ مرَّتَيْنْ وَلَمْ نَزَلْ أحْياءْ

أمين المصرى : (عَلَى عُكازِهِ يَمْشِى وسْطَ النَّاسِ عَلَى المسْرح) .

فى كُلِّ شىءٍ سَوفَ أَحْلُمُ بالوطَنْ . .
مَهْما تَمادَى البُعْدُ يا وَطَنى
سأبْقىَ فِيكَ أَحْلُمُ بالوَطَنِ
فى كُلِّ ضَوْءٍ سَوْفَ يَبْدوُ مِنْ بعيدْ
سأظَلُّ أحلَمُ أَنْ يَجى العُمْرُ بالصُّبْحِ الوَلِيدْ
ضَحكوا عَلَيْنا . . بِالوَطنْ
كَذَبُوا عَلَيْنَا . . بالوَطنْ
باعوا الليالى . . بالوطَنْ
سَرَقوا الأمانِى . . بالوطَنْ
حاربْتُ كَىْ يبقَى الوطَنْ . .
والآنَ حارَبَنى الوطَنْ . .
وطنٌ وطنْ . .
لا شَىْءَ فى عَيْنِى أرى فِيهِ الوطَنْ . .
وَطَنى سأبْقَى العُمْرَ فيهَ . . ولا أرى وَجْهَ الوطَنْ

صوت : مَنْ هَذَا . . ؟
صوت : أمِينُ المصرى مجنُونٌ آخرْ . .

صوت : ظَنُّوا بأَنَّ القَتْلَ سَوْفَ يريحُها ويُرِيحُهُمْ . .
خطأٌ كبيرْ . .

صوت : لَنْ يَرْتَاحُوا بَعْدَ اليَوْمِ . .

صوت : إعْدامُهَا واللّهِ أكْبرَ مُشكِلهْ . .

صوت : وقَفَتْ فى وَجْهِ الحجاجْ . .
هَلْ يَنْطِقُ أحَدٌ فى وَجْهِهْ . . ؟

صوت : عدنانُ يَسْكُنُ جِلْدَها

أمين المصرى : عدنانُ يَسْكُنُنَا جميعاً . .
عدنانُ يسْكُنُنى
ويَسْكُن فِيكَ . .
يَسْكُنُ كُلَّ هذِى الْأرضِ
تَرَاه فى الأشْجارِ والنّيلِ الحزينْ
وتَرَاهُ ضوْءاً فَوْقَ مِئْذَنَةِ الحُسَينْ . .
وتراهُ فى صَدْرِى وصَدْرِكَ رَغْمَ هذا القَهْرِ . .
(فجأةً يَدخُلُ الحجاجُ ، ويَهْرَبُ النَّاسُ . .
وبَعْدَهُ بلحظاتٍ تَدْخُلُ سعادُ مَعَ حراسَها وَتأْخُذُ

جانباً مِنَ المسرحِ حَيْثُ تدخُلُ فى قَفَصِها
وَحَبْلُ المِشْنَقَةِ يتدَلَّى بِالقُرْبِ مِنْها)

الحجاج : (مُخْتالاً كأنَّما يُحَدِّثُ نَفْسَهُ) :

مَنْ فى الأرضِ لَمْ يُبْهِرهُ طَعْمُ المَجْدِ
والجَبَروتِ والسُلْطانْ . . ؟
مَنْ فى الأرضِ لَمْ يَبْحَثْ عَنِ الخُدَّامِ
والحُرّاسِ والكُهّان ؟
مَنْ فى الكَوْنِ لَمْ يعْشِقْ نِفاقَ النّاسِ . . لَمْ يَسْكَرْ
مِنَ الطُغْيانْ . . ؟
تَرَى الكُرْسى . .
وآهٍ مِنْهُ يُسْحِرُنا ويَجْعَلُناَ نَرَى الدُّنْياَ
بِلاَ أَلَمٍ . . بِلاَ سَأمٍ . . بِلاَ أَحْزانْ . .
يُخَدِّرُنَا . . ويُنْسِيناَ ضَمِيراً كانَ فِي يَوْمٍ يُعَذِّبُناَ
ويَبْدُو الكَوْنُ أصْفاراً نُحَرِّكُهاَ عَلَى الجُدْرانْ
(ينظُر إلى سعاد مِنْ بعيدٍ)
شىءٌ جَمِيلٌ أَنْ أَرَى الأزْهارَ تَرْقُصُ بالنَّدَى فَوْقَ
الحدائِقِ

لِكنَّ أَجْمَلَ ما أَرَاهْ الآنَ أعْناقٌ تُسَلِّمُهَا

المَشَانِقُ . . لِلمَشَانِقْ

هَذِى شُعوبٌ سَوْفَ تحْكُمُهاَ المَشَانِقْ . .

إنِّى رَسَمْتُ لكم طَرِيقاً لَنْ تُغَيِّرَه السنين

سَيَجِىءُ بَعْدِى مَنْ يَرى فى السَّيْفِ حُكْماً قاطِعاً

لا يَسْتَكِينْ . .

سعادُ : قَدْ تُظْلِمُ الدّنْيا وتُصْبحُ فى عُيُونِ النَّاسِ قَبْراً مُظْلِماً

قَدْ تُصْبحُ الأيامُ سِجْناً مُعْتِماً . .

لِكنَّ طَيْفَ الصُّبْحِ يَنْبُتُ عادَةً وسْطَ الظَّلاَمْ

كُلُّ الحَنَاجِرِ سَوْفَ تَصْرُخُ . . سَوْفَ تَنْطِقُ

سَوْفَ تَسْقُطُ أَنْتَ يا حجاجُ وحدَكَ فى الزِّحامْ

عدنانُ صَوْتُ الحقِ صوتُ العدلِ ضوءُ الصبْحِ

خَلْفَ اللّيلِ قَادِمْ

الحجاج : باسْمِى أنا الحجاجُ . .

تُعْدَمُ سُعادُ

سلام : (مُقاطِعاً مِنَ الصَّالَةِ)

لا تُكْمِلْ حُكْمَكَ يا حجاجْ . .

ولتَخشَ اللَّهَ فإنَّكَ أبَداً لا تَخْشاهْ . .

الحجاج : مَنْ هذَا . . ؟ مَنْ أنْتَ . . ؟

سلام : أنا سلاّم يا حَجاجْ . .

الحجاج : لا رَجْعَةَ فى حُكْمِى أَبَداً . .

سلام : عِنْدِى سِرٌّ يا حجاجُ وَسوفَ أَقُولُهْ . .

الحجاجُ : إِخْرِجُوا هذاَ الرجُلْ . .

(يتقدمُ رِجالُ البُوليسِ ويَحمِلوُن سَلاْم)

سلام : اسْمَعْنى يَوْماً يا حجاجُ وَلَوْ مَرَّهْ . .

فى قَلْبى سِرٌّ أُخْفِيهْ . .

الحجاج : اطْرُدُوهْ . .

سلام : قَدْ لا تَرانِي بَعْدَ هذا اليَوم . . اسْمَعَ ما أقُولْ

الحجاج : لا يُوجَدُ عِنْدى سرٌّ . .

لا يُوجَدُ عِنْدى ما أُخْفِيهْ

ما هَذَا السِّرْ . . ؟

سلام : دَعْنِى أحْكِيهْ . .

الحجاج : (مُتَراجِعاً مُشِيراً إلى رِجالِه) :

دَعُوهُ الآنَ كَىْ يَحْكِى . . دَعُوهْ

قُلْ ما عِنْدَكْ

سلام : سَأقُولُ يا حجاجُ ما عِنْدى . . ولن أخشاك بعد اليوم

سعاد : (تَصْرُخُ فى سلاَمْ) :

أرْجُوكَ يا سَلامُ اسْكُتْ . . لا تَقُلْ شَيْئاً

كُلُّ الذى سَتقولُ فاتَ أوَانُهُ لَنْ يَسْمعُوكْ . .

هَذِى قُلوبٌ أغْلقَتْ ابْوابهَا وَسْطَ الظلامْ

سلام : يا حجاجُ . .

إنْ كنتَ يوماً قَدْ قَتَلْتَ . .

إن كنتَ يوماً قَدْ سَجَنْتَ . .

إن كُنتَ قَدْ ألْقيْتَنا عاماً فعاماً فى السّجونْ . .

إنْ كُنتَ قَدْ عَلَّمْتنا طَعْمَ الحياةِ

معَ المَهانِةَ . . والتذَلُّلِ . . والجُنُونْ . .

إنْ كُنْتَ قَدْ مَزّقْتَ أحْلاماً حَلمْناها مَعكْ . .

ونَسِيتَ أياماً قَضيناهاَ مَعَكْ . .

أرْجُوكَ يا حجاجُ لا تَقْتُلْ سُعادَ . .

هِيَ كُلُّ ما أبْقَتْ لنَا الأيّامُ مِنْ أحْلاَمِها

ستَدورُ فى كُلِّ البلادِ وَلَنْ تَرى أمّاً سِواها

ستضيعُ فى كلِّ البلادِ وَلَنْ تَرى أرضاً سِواها

ستَهِيمُ فى كُلِّ البلادِ ولَنْ تَرى وطَناً سِواهَا . .

هىَ أمُّ ابْنِكَ دُونَ كُلِّ نِساءِ هذى الأرضْ

فى أحْشائِها الأَملُ الكبِيرْ . .

الحجاج : (ثائراً) :

رَجُلٌ مَعْتُوهْ . . وامْرأةٌ جُنّتْ

ما هَذَا القَدَرُ المَجْنُونْ . . ؟

ما هَذا الزَّمَنُ المَخْبُولْ . . ؟

مَالِى أَرى الأشياءَ تَأْتِى

ثمَّ تأبَى أنْ تَجِىءْ . .

مَالى أَرى الأشْياءَ بَيْنَ يَدَىَّ حِيناً ثُمَّ تُنكِرُنِى ؟ !

حتَّى قَرارِى لَمْ يَعُدْ أَبداً قرارِى . .

إنْ قُلْتُ حُبّاً . . شَدَّنِي لِلْبُغضِ شَىءْ . .

إنْ قُلْتُ عَدْلاً . . شَدَّنى للظُّلْمِ شَىءْ . .

إنْ قُلْتُ صُبْحاً . . شَدَّنى لِلَيْلِ شَىءْ . .

ما هذِهِ الأقْدارْ . . ؟

ما كانَتْ الأقدارُ يَوْماً فى يَدِى . .

سأَقْتُلُها . .

وَربِّ الكعْبةِ الغرَّاءِ لَنْ أرْتَاحَ

إلاَّ حِينَ أَقْتلُها . .

سلام : هَلْ تَقْتُلُ حُلْمَكَ يا حَجّاجْ . . ؟

الحجاج : أَقْتُلُ نَفْسى يا سَلاَّمْ

هَلْ تَعْرِفُ ما أَعْنى . . ؟

ارْتَاحَتْ كلُّ الأشياءْ

وغَدَوْتُ أَعِيشُ بِلاَ قَلْبٍ

بِلاَ نبْضٍ . . بِلاَ إحْساسْ

حراً فى نَفْسى . .

كَمْ عِشْتُ أَحِنُّ لهذا اليَوْمِ

أُحَرِّرُ نَفْسى . . مِنْ نَفْسِى

تَتَساوى كُلُّ الأشْياءْ . .

يَتَساوى لَوْنُ الدَّمِ ولَوْنُ الطِّينِ وبَسْمَةُ طِفلْ . .

يَتَساوى صَوْتُ البُلْبُلِ حِينَ يُغَنىِّ

حينَ يَئِنُّ . . وحينَ يَمُوتْ

سلام : هَذا جَبَروتٌ يا حَجاجُ . .

الحجاج : أَنا لَمْ أَقُلْ للنَّاسِ هيَّا واعبُدُونِي . . لكنَّهمْ

عَبَدُونِي

أنا لَمْ أَقُلْ للنَّاسِ قُومُوا وارْفَعُونِي . . لكنَّهُمْ

رَفَعُونى . .

سعاد : لَنْ نُنكِرَ أَبداً يا حجاجْ . .

أَنَّا فى يَوْمٍ أحبَبْناكْ . .

لكنَّكَ خُنْتَ الحُبَّ وخُنْتَ العَهْدَ

ولَمْ نَعْرِفْ هَلْ كانَ الحُبُّ طَرِيقَ الأمْنِ

أَمْ كَانَ طرِيقاً للسّجانْ . . ؟

الحجاج : أَنَا لَمْ أَقُلْ للشَّعْبِ أُخْرُجْ

فى الشوارعِ بالهُتافِ وبالطُّبولْ . .

النَّاسُ تَهْتِفُ فى الشوارعِ ثمّ تَلْعَنُ فى البيوتْ

الشَّعْبُ يَحْمِلُنِى عَلى الأعْناقِ

ثُم أَصِيرُ أفَّاقاً ودَجّالاً وأُرْجَمُ فى الطّرِيقْ

ماذَا أُصَدِّقُ ؟ خَبِّرونى

أَأُصَدِّقُ اللّعْناتِ . . أَمْ صَوتَ الطُبُولْ . . ؟!

سعاد : نَعَمْ قَدْ خَرَجْنا . .

وطُفْنَا الشوارِعَ نَحْمِيكَ حُلْماً وعُمْراً وابْناً

نَثَرْنَا عليكَ وروداً كثِيرهْ . .

فَمَاذَا أَخَذْنَا . . ؟ سُجُوناً كبيرهْ . . ! !

أمامَكَ يَوْماً نثرْنَا الورودْ . .

وأنْتَ نَثَرْتَ عَلَيْنَا الرِّصاص . .

حينَ أحَبَّكَ هَذا الشعبْ

كُنتَ حَبِيبَهْ . . سارَ وراءَكْ . .

حينَ غَدَرْتَ بِهذا الشعْبِ . . صِرْتَ عَدُوَّهْ

لَعَنَكَ فى كُلِّ الصلَواتْ . .

يوماً رَفَعَكَ ثُمَّ سَقَطْتْ . .

شَعْبُكَ أبَداً لَمْ يخْدَعْكْ

الحجاج : أنَا لمْ أقُلْ للشّعبِ أنْ يَحْيا بهذَا الخوْفْ .

شَعْبُ يُحِبُّ الخَوْفْ . .

يَعِيشُ لِكَىْ يَخَافْ . .

يَنَامُ لِكَىْ يَخافْ . .

يَمُوتُ لِكَىْ يَخافْ

يَخافُ لِكَىْ يَخافْ . .

سعاد : الخَوْفُ فِيكَ ولَيْسَ فى شَعْبِكْ

فالشَّعْبُ لا يَخْشَى السّجونْ . .

لكِنَّ شَعْبَكَ قَدْ حَزِنْ . .

خَيَّبْتَ ظَنَّهْ . .

ضَيَّعْتَ حُلْمَهْ . .

إنْ باعَنِي يَوْماً عَدُوِّى لا أَلُومُهْ . .

إنْ باعَنى ابْنى فَلَنْ يَبْقَى مِنَ الدنْيا سِوَى

الأحزانْ . .

سلام : قَدْ كانَ يا حجاجُ وجْهُكَ أجْمَلَ الأشياءَ فِينا

والآنَ وَجْهُكَ أَقْبَحُ الأشْياءِ فِينا . .

الحجاج : مِمَّنْ يَخَافُ الشَّعبْ ؟ .

رِجالُ حُكْمى بَعْضُ هَذا الشَّعْبِ

هذا الرَّصاصُ جَمِيعُهُ أيْضاً . . رَصَاصُ الشَّعْبِ

السِّجْنُ . . سِجْنُ الشَّعْبِ . .

المشْنقَةْ . . شَنَقَتْ بأَيْدِى الشَّعْب . .

مَاذَا أَقُولُ لَكُمْ وأَنْتُمْ كُلُّكُمْ شُرَكاءْ . ؟

سعاد : هَلْ يَمْلِكُ المَقْتُولُ شَيْئاً ؟ !

غَيرَ أَنْ يبْكى دِمَاءَهْ . . ؟

ماذَا سَتَفْعَلُ صَيْحَةٌ خَرْساءُ فى وَجْهِ الرَّصاصْ ؟

هذا رَصاصُ الشَّعْبِ يا حجاجُ

أَوْلَى أنْ يُصَوَّبَ فى عدُوِّكْ

لكِنْ بِرَبِّكَ كَيْفَ أَسْكَنْتَ الرَّصاصَ

قُلُوبَ شعْبٍ قَدْ أَحبّكْ ؟

سلام : . ماذَا سَتَفعَلُ صَيْحَةٌ ثَكْلَى ؟

وَوَجْهُ الكَوْنِ بَحْرٌ مِنْ دِماءْ . . ؟

الحجاج : هَيَّا أَسْأَلُوا شَعْبِى . . هَيَّا أَسْأَلُوهْ

مَنْ حرَّرَكْ . . ؟ مَنْ غيَّركْ . . ؟ مَنْ طهَّرَكْ ؟

سيقولُ فى صَوتٍ جَهيرٍ :

إنّهُ الحجاجُ طَهَّرَنى وحَرَّرنى وصَانَ الْأرضَ

سلام : صدقتَ يا حجاجُ زيفَ الأدعياءْ
خدعوكَ بالدين المزيف والطهارة
والحيارى الجائعين الأشقياءْ
خدعوكَ بالدجل الرخيصِ وبالنفاقِ وبالرياءْ . .
قتلوكَ حياً حينما ضيعتَ شعبكَ واستبحتَ
الأبرياءْ . .
الدينُ نحنُ . . الطهرُ نحنُ . . الحلمُ نحنُ
نحنُ الطهارةُ والفضيلةُ والنقاءْ

سعاد : فى قَلْبِكَ شىءٌ يا حجاجُ
قَدْ عِشْتَ لِتَكْرَهَ . .
قَلْبُكَ لَمْ يَعْرِفْ طَعْمَ الحُبْ . .
خَيْرُ الحُكَّامِ . . رَجُلٌ لَمْ يَعْرِفْ غيْرَ الحُبْ
شَرُّ الحُكَّامِ . . رَجُلٌ لَمْ يَعْرِفْ . . كَيْفَ
يُحِبْ .

الحجاج : القَهْرُ فِيكُمْ لَيْسَ فِى حُكَّامِكُمْ . . فَأنَا الإِلَهُ
صَنَعْتُمونى بَيْنَكُمْ . .
وعبَدْتُمونى ثُمَّ جِئْتُمْ تَرْجُمُونَ إِلَاهَكُمْ . .
سَيَجِىءُ بَعْدِى أَلْفُ حجاجٍ جَدِيدْ . .

سعاد : سَيَجِيءُ بَعْدَكَ أَلْفُ عَدْنانٍ جديدْ . .

الحجاج : قَدْ صَارَ لَوْنُ الدَّمِ فِي عَيْنِي ظِلالاً لا تُفَارِقُني

إِنِّي أَرى الأَشْياءَ فِي عَيْنِي دِماءْ

وأَرى الدِّماءَ الآنَ أَشْياءً بِعَيْني

عَيْنَايَ بَحْرُ الدَّمْ .

سعاد : عدنانْ . .

لِمَ لَمْ تقُلْ لِي عِنْدَما سافَرْتَ إِنَّكَ لَنْ تَعُودْ ؟

لِمَ لَمْ تَقُلْ للنَّاسِ قَبْلَ وَدَاعِنَا

إِنَّ الذى بَيْنِي وبَيْنَكَ كان شَيْئاً غَيْرَ ما عَرَفَ

البَشَرْ . . ؟

الحجاج : عدنانُ عدنانُ . .

المرأةُ جُنَّتْ . .

سعاد : قُلْ إِنَّنا رغْمَ الوَدَاعِ

ورَغْمَ ما صَنَعَتْ بِنَا الأيامُ

سَوْفَ نَظلُّ حُلْماً فِي ضَميرِ الكَوْنِ

سَوْفَ نَظَلّ سِراً مِنْ خَبايا الطُّهْرِ

حِينَ يجيءُ فِي زَمَنٍ بَخِيلْ . .

الحجاج : أفيقِى مِنْ جُنونِكْ

سعاد : عدنانُ

إنّى أَراكَ عَلى جِدارِ اللّيلِ صُبْحاً . .

وأراكَ فى قَبْرِ المَدينةِ بَعْضَ أنْفاسٍ

وأراكَ فى زَمَنِ السَّلاسِلِ بَعْضَ أمْنٍ

وأَراكَ فى لَيْلِ الحَيارى بَعْضَ أُنْسٍ . .

وأَراكَ للأيْتامِ خُبْزاً لَمْ يُلَوِّثْهُ العَفَنْ . .

وأرَاكَ لِلطُّهْرِ الغَرِيقِ شَواطِئاً فِيها النَّجاهْ . .

سَتَعُودُ يا عدنانُ فالطُّوفانُ قادِمْ

مِنْ أجْلِنا عدنانُ عُدْ . .

الحجاج : هَذا قرارُ المَحْكَمهْ . .

هيَّا اصْلُبُوها فَوْقَ هذى المَقْصَلَهْ . .

هيّا اشْنُقُوها الآن . .

(يتجهُ رِجال الشُّرْطَةِ ومعهمْ سُعادُ إلى حَبْلِ المشْنَقَةِ)

الحجاج : (ثائِراً) :

تُعلَّقُ فَوْقَ مِئْذَنَةِ الحُسَيْنْ . .

تُعلَّقُ عِنْدَ بابِ الكعبةِ الغرَّاءْ . .

تُعَلَّقُ عِنْدَ بابِ المَسْجِدِ الأَقْصَى . .

تُعَلَّقُ فى ضَمِيرِ النَّاسِ أَحْياءً وامْواتاً

تُعَلَّقُ كُلَّما نَادَى المُؤَذِّنُ للصَّلاةْ . .

هيَّا اقتُلُوها الآنَ حَتَّى أَسْتَرِيحْ . .

هيَّا اقْتُلوها الآنْ . .

عدنانُ أَيْنَ لأَقْتُلَهْ . . ؟

عدنانُ أَيْنَ لأَقْتُلَهْ . . ؟

صوت من الصالة : يا حجاجُ . . أنا عدنانُ . .

الحجاج : اسْجِنُوهْ . .

صوت من الصالة : يا حجاجُ . . أنا عدنانُ . .

الحجاج : اسْجِنُوهْ . .

صوت : يا حجاج أنا عدنانُ

الحجاج : اسْجِنُوهْ . .

أصوات من الصالة : أنا عدنانُ . . أنا عدنانُ . . أنا عدنانُ

الحجاج : سأكونُ أَوَّلَ حاكِمٍ فى الأَرْضِ يَسْجِنُ شَعْبَهُ . .

هيّا اسْجِنُوهُمْ كُلَّهُم .. هيَّا اسجِنُوهُمْ
كُلَّهُمْ ..

(يتجهُ رجالُ الشرطةِ إلى الصالةِ يحاصِرُونَ الجمْهُورَ .. بيْنَما
يلتف حَبْلُ المشنقةِ حَوْلَ رقبةِ سُعاد)

سعاد : كُلُّ الحياةِ إلى زَوَالْ ..
حُكّامُهَا .. تِيجَانُها .. ألقابُها ..
فالناسُ تَمْضِى أَوْ تَجِىءْ ..
والعُمْرُ يَرْحَلُ لا يَجِىءْ ..
لَكِنَّ أعْظَمَ ما يَراهُ النَّاسُ فَوْقَ الأرْضِ
إنسانٌ أَقَامَ العَدْلَ فى زَمَنِ الضَّلَالْ
فَالعَدْلُ فى زَمَنِ السَّلاسِلِ والقُيودِ .. هُوَ
المُحَالْ
إنسانٌ يَرَى أنَّ الحَرامَ هُوَ الحرامْ ..
أنَّ الحلَالَ هُوَ الحَلَالْ ..
أنَّ الشُعُوبَ أمانةٌ للّهِ فى عُنُقِ الرِّجالْ
فرقٌ كبيرٌ بينَ شَعْبٍ فى يدِ الشُّرَفاءِ

أَوْ شَعْبٍ يُمَزِّقهُ الدَّجَلْ
فرقٌ كبيرٌ بين من يُحيى الحياةَ
وبين آخرَ قدْ قتل
فَرْقٌ كبيرٌ بين مَنْ نَهَبَ الشُعُوبَ
وبَيْنَ آخَرَ قَدْ عَدَلْ . .
هذا هُو الإنسانُ يا حجاجُ
إنسانٌ . . عَدَلْ . .
إنسانٌ . . عَدَلْ
إنسانٌ . . عَدَلْ

غناء : زمنٌ يعلمنا الآسى زمنٌ يعلمنا العذابْ
فإلى متى سيظلُ سيفُ القهر يعصفُ بالرقابْ
لم نجن من زمنِ الطغاةِ سوى المهانةِ والخرابْ
زمنُ المهانة لم يدع شيئاً لنا غير السرابْ
إن أغلقوا للصبح باباً سوف نفتحُ الفَ بابْ

ستـــار

رقم الايداع ٣٣٧٩
الترقيم الدولى ١ - ٢١٣ - ١٧٢ - ٩٧٧

دار غـريب للطبـاعة
١٢ شارع نوبار (لاظوغلى) القاهرة
ص . ب (٥٨) الدواوين تليفون ٣٥٤٢٠٧٩

الحجاج بن يوسف الثقفى لا يحتاج إلى تعريف فهو أشهر طاغية فى تاريخ العرب والمسلمين . .

ولابد أن أعترف أننى فى مسرحيتى الشعرية (دماء على ستار الكعبة) أخذت من الحجاج إسمه ولم أكتب سيرته .

إن الحجاج فى هذه المسرحية رمز للقهر واغتيال حرية الإنسان فى أى زمان ومكان . .

ولم يكن الحجاج هو الطاغية الوحيد فى تاريخ العرب والمسلمين فما أكثر الطغاة فى تاريخنا القديم . . والحديث . .

والشىء المؤكد أن كثيرين ساروا على طريقه وتعلموا من سيرته ومارسوا كل ألوان البطش والقهر . . وامتهان كرامة الإنسان وحريته . .

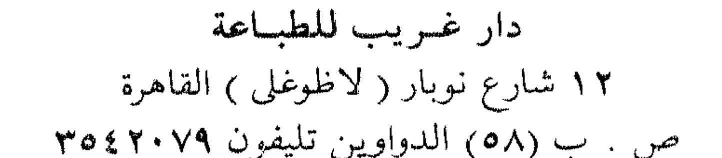
فلم يكن الحجاج أول الطغاة . .
ولم يكن آخرهم . .
ولن يكون . .

فاروق جويدة

72

الثمن

جـ



دار غريب للطباعة
١٢ شارع نوبار (لاظوغلى) القاهرة
ص . ب (٥٨) الدواوين تليفون ٣٥٤٢٠٧٩